www.al-milani.com

اعرف الحق تعرف اهله
(٣٧)

تلخيص من هم قتلة الحسين سيعة الكوفة؟

الجزء الاول

تأليف
آية الله السيد على الحسينى الميلانى

مركز الحقائق الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين الله عزّ وجلّ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

كلمة المؤلّف

الحمد للّٰه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله المعصومين، ولعنة اللّٰه على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين.

وبعد..

فإنّ قضيّة استشهاد سيّد الشهداء وسبط رسول اللّٰه أبي عبداللّٰه الحسين عليه السلام بكربلاء لها جذور وأسباب وسوابق، ولها آثار وتوابع ولواحق.. وكلّ ذلك بحاجة إلى دراسات عميقة في ضوء المصادر الموثوقة، وقد تناولَتها ـ منذ القرون الأُولى ـ أقلامُ المصنّفين بين منصفين وغير منصفين، وإلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين.

فمنهم مَن ألّف في شرح الواقعة وضبط جزئياتها، ومنهم مَن كتب

في تحليل أسبابها والتحقيق عن جذورها، ومنهم مَن درس آثارها في الدين وواقع المسلمين..

وكتابنا «مَن هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام؟» يتناول جانباً واحداً من السوابق، وجانباً واحداً من اللواحق..

فإنّ ممّا لا شكّ فيه هو تولية معاوية بن أبي سفيان ولدَه يزيد من بعده، وبذله غاية الجهد في تهيئة الأسباب وتصفية الأجواء له، فيكون شريكاً معه في كلّ ما أتى به..

ولكنْ هل كان لمعاوية دورٌ في خصوص قتل الحسين عليه السلام في العراق، بأنْ يكون هو المخطّط للواقعة ويكون ولده المنفّذ لها؟

وإنّ ممّا لا شكّ فيه وجود أنصار لبني أُميّة في كلّ زمان وفي كلّ لباس.. فلمّا رأى هؤلاء أنّ القضية قد انتهت بفضيحة آل أبي سفيان، وأنّه قد لحق العار والشنار للخطّ المناوئ لأهل البيت عليهم السلام إلى يوم القيامة، جعلوا يحاولون تبرئة يزيد وأبيه معاوية واتّهام شيعة الكوفة بأنّهم هم الّذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا يقيمون المآتم عليه ويجدّدون ذكرى الواقعة في كلّ عام؟!

لقد وضعنا هذا الكتاب، لكي نثبت أنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام كان بخطّة مدبّرة مدروسة من معاوية بالذات، ثمّ نُفّذت بواسطة

يزيد، وبأمر منه وإشراف مستمرّ على يد أنصار بني أُميّة في الكوفة، وساعدهم على ذلك الخوارج.. هذا **أوّلا**.

وثانياً: إنّ رجالات الشيعة في الكوفة، الّذين كتبوا إلى الإمام عليه السلام واستعدّوا لنصرته، قد شتّتتهم الأيدي الظالمة، بين قتيل مع مسلم بن عقيل، أو سجين، أو مطارَد لم يتمكّن من الحضور بكربلاء، ومن تمكّن منهم استُشهد.

وثالثاً: إنّ الغرض من الدفاع عن يزيد وتبرير جرائمه، ثمّ الإشكال على الشيعة في إقامة المآتم على السبط الشهيد وأصحابه، إنّما هو التحامي عن اللعن والطعن في معاوية والأعلى فالأعلى.

إنّ دراستنا ستكون في ثلاث حلقات على طبق الموضوع، فإنّها تتكوّن من حلقة تتعلّق بما قبل الواقعة، وفيها دور معاوية; وأُخرى تتعلّق بما بعد الواقعة، وهو دور علماء السوء النواصب; وحلقة في الوسط، في دور يزيد، والتحقيق عمّن باشر قتل الإمام عليه السلام ودفع تهمة مشاركة الشيعة في ذلك.

والله نسأل أنْ يتقبّل منّا هذا الجهد.

علي الحسيني الميلاني

مقدّمات البحث

المقدّمة الأُولى

في تأسيس معاوية الدولة الأُموية

إنّ من الأخبار المشتهرة قولة أبي سفيان لمّا تمّت البيعة لعثمان بن عفّان: «تلقّفوها يا بني أُميّة تلقّف الكرة، فما الأمر على ما يقولون»[١]، و«قد صارت إليك بعد تيم وعديّ، فأَدِرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة، فإنّما هو المُلك، ولا أدري ما جَنّة ولا نار»[٢]، و «يا بني عبدمناف! تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جَنّة ولا نار»[٣].

قال المسعودي: «وقد كان عمّار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان، عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أُميّة، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟...

ونُمِيَ هذا القول إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام، فقام

عمّار في المسجد فقال: يا معشر قريش! أمَا إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ها هنا مرّة وها هنا مرّة! فما أنا بآمن من أن ينزعه اللّه منكم فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله!

وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أُوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم!

فقال له عبدالرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد ابن عمرو؟!

فقال: إنّي واللّه لأُحبّهم لحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إيّاهم، وإنّ الحقّ معهم وفيهم.

يا عبدالرحمن! أعجبُ من قريش، وإنّما تطوُّلُهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بعده من أيديهم!

أمَا وأَيْمُ اللّه يا عبدالرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إيّاهم مع النبيّ يوم بدر!

وجرى بينهم من الكلام خطب طويل، قد أتينا على ذِكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار»[٤].

وأضافت بعض الروايات أنّ أبا سفيان قال في كلامه: «فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرَنّ إلى صبيانكم وراثةً»[٥].

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ١٩، مروج الذهب ٢ / ٣٤٣.

(٢) الاستيعاب ٤ / ١٦٧٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٦٢٢ حوادث سنة ٢٨٤ هـ، المختصر في أخبار البشر ٢ / ٥٧.

(٤) مروج الذهب ٢ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٥) مروج الذهب ٢ / ٣٤٣.

قالوا: «وقد مرّ بقبر حمزة رضي اللّٰه عنه، وضربه برجله وقال: يا أبا عُمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غِلماننا اليوم يتلعّبون به»[٦].

وهذا ما صرّح به معاوية أيضاً في مناسبات مختلفة، ومنها أنّه لمّا اقترح عليه مسلم بن عقبة أن يعهد بالأمر ليزيد، قال: «صدقت يا مسلم! إنّه لم يزل رأيي من يزيد، وهل تستقيم الناس لغير يزيد؟! ليتها في وُلدي وذرّيّتي إلى يوم الدين، وأن لا تعلو ذرّيّة أبي تراب على ذرّيّة آل أبي سفيان»[٧].

وعن زرارة بن أوفى «أنّ معاوية خطب الناس فقال: يا أيّها الناس! إنّا نحن أحقّ بهذا الأمر، نحن شجرة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، وبيضته التي انفلقت عنه، ونحن ونحن.

فقال صعصعة: فأين بنو هاشم منكم؟!

قال: نحن أَسْوَسُ منهم، وهم خيرٌ منّا!»[٨].

وقد كان بداية الدولة الأُمويّة من حين ولّى أبو بكر بن أبي قحافة ـ بإصرار من عمر بن الخطّاب ـ يزيدَ بن أبي سفيان على الشام، فكان أوّل وال من آل أبي سفيان[٩]..

* * *

(٦) شرح نهج البلاغة ١٦ / ١٣٦.

(٧) الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٤ / ٣٥١.

(٨) تاريخ دمشق ٢٤ / ٩٠ ـ ٩١.

(٩) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣١ حوادث سنة ١٣ هـ .

المقدّمة الثانية

في بعض قضايا معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام

استشهد أمير المؤمنين عليه السلام ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان في السنة الأربعين من الهجرة النبوية.. وكان بعده مولانا الإمام الحسن السبط عليه الصلاة والسلام.

وقد بايعه الناس بعد أن خطبهم.

ونقل أبو الفرج خبر الخطبة بأسانيده:

«قال عمرو بن ثابت: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي سنةً أسأله عن خطبة الحسن بن عليّ، فلا يحدّثني بها، فدخلت إليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه كأنّه غول، فقال لي: من أنت؟ فأخبرته، فبكى وقال: كيف أبوك؟ كيف أهلك؟ قلت: صالحون. قال: في أيّ شيء تَردّدُ منذ سنة؟ قلت: في خطبة الحسن بن عليّ بعد وفاة أبيه.

قال ـ بعد أن ذكر سنده ـ : خطب الحسن بن عليّ بعد وفاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح اللّه عليه، ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمئة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثمّ قال: أيّها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى اللّه عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين افترض اللّه مودّتهم في كتابه إذ يقول: (**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**)فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عبّاس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة! فبايَعوه.

ثمّ نزل عن المنبر»[١٠].

(١٠) مقاتل الطالبيّين: ٦١ ـ ٦٢.

تنبيه:

حاول القوم أن لا ينقلوا خطبة الإمام الحسن عليه السلام كاملةً، وحتّى المنقوص منها تصرّفوا في لفظه! فراجع: مسند أحمد ١ / ١٩٩ ـ ٢٠٠، فضائل الصحابة ـ لأحمد ـ ١ / ٦٧٤ ح ٩٢٢ و ج ٢ / ٧٣٧ ح ١٠١٣، الزهد ـ لأحمد بن حنبل ـ : ١١٠ ح ٧١٠، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ٢٨، المعجم الكبير ـ للطبراني ـ ٣ / ٧٩ ـ ٨١ ح ٢٧١٧ ـ ٢٧٢٥، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩ / ٤٥ ح ٦٨٩٧، تاريخ الطبري ٣ / ١٦٤ حوادث سنة ٤٠ هـ، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٨٨ ح ٤٨٠٢، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٦٥ حوادث سنة ٤٠ هـ، مجمع الزوائد ٩ / ١٤٦، ثمّ قارن بين الألفاظ لترى مدى إخلاص أُمناء الحديث وحرصهم على حفظه ونقله!!

ولذا نجد علماء القوم يصرّحون بشرعيّة إمامته عليه السلام في شرح حديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، فقالوا بأنّ مدّة خلافته متمّمة للثلاثين[١١].

وأيضاً، فقد ذكروا الإمام الحسن عليه السلام بشرح حديث

«الأئمّة بعدي اثنا عشر»[١٢].

ثمّ إنّه كتب إلى معاوية، فقال:

«سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد: فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمّداً رحمةً للعالمين، ومنّةً للمؤمنين، وكافّة للناس أجمعين، (**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**)، فبلّغَ رسالات الله، وقامَ بأمر الله حتّى توفّاه الله غير مقصّر ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحقّ ومَحَقَ به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصّة فقال له: (**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**)، فلمّا توفّي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد وحقّه; فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمّد، فأنعمت لهم وسلّمت إليهم.

ثمّ حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأولياءه إلى محاجّتهم، وطلب النصَف منهم باعدونا واستولوا

بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الوليّ النصير.

ولقد كنّا تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا، وإنْ كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده!

---

(١١) فتح الباري ١٣ / ٢٦٢، شرح صحيح مسلم ـ للنووي ـ ١٢ / ١٥٩ ح ١٨٢١، البداية والنهاية ٦ / ١٨٦، تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ـ : ١٢، عمدة القاري ٢٤ / ٢٨١ ح ٧٧.

(١٢) فتح الباري ١٣ / ٢٦٦، عارضة الأحوذي ٥ / ٦٧ ح ٢٢٣٠، البداية والنهاية ٦ / ١٨٧، تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ـ : ١٥.

فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لستَ من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم ولكتابه! واللّٰه حسيبك، فستردّ فتعلم لمن عقبى الدار، وباللّٰه لتلقينّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك وما اللّٰه بظلاّم للعبيد.

إنّ عليّاً لمّا مضى لسبيله، رحمة اللّٰه عليه يوم قبض ويوم مَنَّ اللّٰه عليه بالإسلام ويوم يبعث حيّاً، ولاّني المسلمون الأمر بعده، فأسأل اللّٰه ألاّ يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامة.

وإنّما حملني على الكتابة إليك الإعذار في ما بيني وبين اللّٰه عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك إنْ فعلته الحظّ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التمادي في الباطل وادخل في ما دخل فيه الناس من

بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند اللّٰه وعند كلّ أوّاب حفيظ ومَن له قلب منيب.

واتّق اللّٰه ودع البغي واحقن دماء المسلمين، فواللّٰه ما لك خير في أن تلقى اللّٰه من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به.

وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك، ليطفئ اللّٰه النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين.

وإنْ أنت أبيت إلاّ التمادي في غيّك، سرتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتك، حتّى يحكم اللّٰه بيننا وهو خير الحاكمين»[١٣].

وهكذا توالت الكتب والرسائل، حتّى تحرّك معاوية نحو العراق في جيش يبلغ الستّين ألفاً[١٤]، وخرج الإمام الحسن عليه السلام لمواجهته، وقد كان من رجال عسكره: حجر بن عديّ، وعديّ بن حاتم، وقيس بن سعد بن عبادة، وسعيد بن قيس، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة، وعبيداللّٰه ابن العبّاس بن عبدالمطّلب.

واستخلف على الكوفة المُغِيْرَةَ بن نوفل بن الحارث ابن عبدالمطّلب.

ووجَّه إلى الشام عبيداللّٰه ومعه قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً.

وسار حتّى إذا وصل عليه السلام قرب المدائن، أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له، ليتميّز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم، فقال:

«الحمد للّٰه كلّما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّٰه كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّٰه، أرسله بالحقّ وائتمنه على الوحي، صلّى اللّٰه عليه وآله.

أمّا بعد، فواللّٰه إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد اللّٰه ومنّته وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة.

ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفُرقة، ألا وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ رأيي، غفر اللّٰه لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لِما فيه محبّته ورضاه، إن شاء اللّٰه!

---

(١٣) انظر: مقاتل الطالبيّين: ٦٤ ـ ٦٦، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٣٣ ـ ٣٤.

(١٤) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٦.

ثمّ نزل.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّه يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر إليه، كفر والله الرجل!

ثمّ شدّوا على فسطاطه فانتهبوه، حتّى أخذوا مصلاّه من تحته، ثمّ

شدّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلّداً سيفاً بغير رداء!

فدعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته، ومنعوا منه مَن أراده، ولاموه وضعَّفوه لِما تكلّم به، فقال: ادعوا إليَّ ربيعة وهَمْدان! فدُعوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوْبٌ من غيرهم.

فلمّا مرّ في مظلم ساباط قام إليه رجل من بني أسد، ثمّ من بني نصر بن قعين، يقال له: جراح بن سنان، وبيده مِغْوَل، فأخذ بلجام فرسه وقال: الله أكبر يا حسن! أشرك أبوك ثمّ أشركت أنت! وطعنه بالمِغْول فوقعت في فخذه فشقّته حتّى بلغت أُربيّته! وسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده، واعتنقه فخرًا جميعاً إلى الأرض، فوثب عبدالله بن الأخطل الطائي ونزع المغول من يد جراح بن سنان فخضخضه به، وأكبّ ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه، ثمّ أخذا له الآجُرَّ فشدخا رأسه ووجهه حتّى قتلوه.

وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن وبها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله، وقد كان عليٌّ عليه السلام ولاّه المدائن فأقرّه الحسن عليه السلام عليها، فأقام عنده يعالج نفسه»[١٥].

قال الشيخ المفيد: «فلمّا أصبح عليه السلام أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له; ليتميّز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم، فقال...

وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقرّه الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل بنفسه يعالج جرحه»[١٦].

وروى الشيخ الصدوق، أنّ معاوية دسَّ إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجر بن حجر وشبث بن ربعي، دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه، أنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مئتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي[١٧].

أمّا عبيدالله بن العبّاس، فقد فرّ إلى معاوية، وتفرّق الجيش ولم يبق مع قيس بن سعد إلاّ أربعة آلاف، فخطبهم وثبّتهم، فكايده معاوية بشتّى الوسائل، حتّى إنّه زوّر عليه رسالةً زعم أنّه أرسلها إليه، وفيها قبول الصلح والبيعة، فلم يؤثّر في قيس شيء من ذلك.

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنّيه.

---

(١٥) مقاتل الطالبيّين: ٧١ ـ ٧٢، ونحوه في مناقب آل أبي طالب ٤ / ٣٧ ـ ٣٨، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٤٢.

(١٦) الإرشاد ٢ / ١١ ـ ١٢.

(١٧) علل الشرائع ١ / ٢٥٩ ب ١٦٠.

فكتب إليه قيس: لا واللّه لا تلقاني أبداً إلاّ بيني وبينك الرمح.

فكتب إليه معاوية حينئذ لمّا يئس منه: أمّا بعد، فإنّك يهودي ابن يهودي، تشقي نفسك وتقتلها في ما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وغدرك، وإن ظهر أبغضهم إليك نكّل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثرَ الحزَّ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً؛ والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد، فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فَرَقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل اللّه لك فيه نصيباً، لم يَقْدُمْ إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً للّه ولرسوله وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّاً للّه ولنبيّه وللمؤمنين من عباده.

وذكرتَ أبي، فلعمري ما أوتر إلاّ قوسه، ولا رمى إلاّ غرضه، فشغب عليه مَن لا يشقّ غباره ولا يبلغ كعبه!

وزعمتَ أنّي يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أنّي وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه; والسلام[١٨].

إلى أن وقع الصلح بين الإمام ومعاوية، فجاء قيس وقال: إنّي قد حلفت أن لا ألقى معاوية إلاّ وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف، فوضع بينهما ليبرّ يمينه[١٩].

هذا، وقد ذكر المؤرّخون خيانة غير واحد من رؤساء القبائل أيضاً، فقد روى البلاذري: «وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فيبايعونه، فكان أوّل من أتاه خالد بن معمر فقال: أُبايعك عن ربيعة كلّها. ففعل. وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي»[٢٠].

لكنْ لا يبعد أن يكون الرجلان قد بايعا معاوية قبل ذلك بكثير، أي من زمن أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا خالد بن معمر، الذي بايع معاوية، فقد روى ابن عساكر أنّه ممّن سعى على الإمام الحسين عليه السلام[٢١].

كما ذُكر في بعض المصادر أنّه قد التحق بمعاوية في قبيلته لأمر نقمه على أمير المؤمنين عليه السلام[٢٢].

وأمّا عفاق بن شرحبيل، فقد ذكروا أنّه كان من قبيلة يزيد

ابن حُجَيّة عامل أمير المؤمنين عليه السلام على الريّ، فلمّا عاقب عليه السلام يزيد في قضية ماليّة، التحق بمعاوية، وذهب إليه بأموال المسلمين، وقال أمير المؤمنين: «اللّهمّ إنّ ابن حُجَيّة هرب بمال المسلمين، وناصبنا مع القوم الظالمين، اللّهمّ اكفنا كيده، واجزه جزاء الغادرين; فأمّن الناس. قال عفاق: ويلكم تؤمّنون على ابن حُجَيّة! شلّت أيديكم! فوثب

---

(١٨) مقاتل الطالبيّين: ٧٤، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٤٣.

(١٩) مقاتل الطالبيّين: ٧٩، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٤٨.

(٢٠) أنساب الأشراف ٣ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢١) تاريخ دمشق ١٠ / ٣١١ رقم ٩٢٣.

(٢٢) شرح الأخبار ـ للمغربي ـ ٢ / ٩٦.

عليه عنق من الناس فضربوه، فاستنقذه زياد بن خصفة التيمي ـ وكان من شيعة الإمام ـ قائلا: دعوا لي ابن عمّي! فقال عليٌّ عليه السلام: دعوا الرجل لابن عمّه ; فتركه الناس، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد»[٢٣].

فيظهر أنّ هؤلاء لم يكونوا شيعة لأهل البيت عليهم السلام، وإنّما كان كثير منهم من الخوارج..

ويشهد بذلك ما جاء في كتاب قيس بن سعد إلى الإمام عليه السلام ـ في ما رواه الشيخ المفيد ـ ، قال:

«وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي اللّٰه عنه... فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيّات المُحَكِّمَة فيه بما أظهروه له من السبّ والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه
من يأمن غوائله إلاّ خاصّةٌ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام، فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه! واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام، وعلم احتياله بذلك واغتياله.

غير إنّه لم يجد بُدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لِما كان عليه أصحابه ممّا وصفناه، من ضعف البصائر في حقّه، والفساد عليه، والخُلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمّه له ومصيره إلى عدوّه، وميل الجمهور إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة»[٢٤].

وعلى أيّ حال، فقد قرّر الإمام عليه السلام أن يصالح معاوية بشروط، فبعث إليه معاوية برقّ أبيض مختوم بخاتمه في أسفله، وقال: اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه[٢٥].

قال الطبري: إنّ معاوية أرسل عبداللّٰه بن عامر وعبدالرحمن بن
سمرة، فقدما المدائن وأعطيا الحسن ما أراد...[٢٦].

أمّا الإمام عليه السلام، فقد أرسل أربعةً من أصحابه، وهم: عبداللّٰه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب، وعمر بن أبي سلمة ـ وهو ابن أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين ـ ، وعمرو ابن سلمة الهمداني، ومحمّد بن الأشعث بن قيس.

ووقع الصلح في جمادى الأُولى سنة ٤١[٢٧].

وكانت حكومة الإمام الحسن عليه السلام سبعة أشهر وأحد عشر يوماً[٢٨].

---

(٢٣) تاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ رقم ٨٢٥٥، شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٣ ـ ٨٥.

(٢٤) الإرشاد ٢ / ١٢ ـ ١٤.

(٢٥) انظر: الاستيعاب ١ / ٣٨٥.

(٢٦) تاريخ الطبري ٣ / ١٦٥ حوادث سنة ٤٠ هـ .

(٢٧) أُسد العابة ١ / ٤٩١ ـ ٤٩٢.

(٢٨) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٩١ ذ ح ٤٨٠٨.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام عاد إلى الكوفة، قالوا: فخطب الناس قبل دخول معاوية، فقال: «أيّها الناس! إنّما نحن أُمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيّكم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» قالوا: فما زال يتكلّم حتّى ما ترى في المسجد إلاّ باكياً[٢٩].

ثمّ وصل معاوية إلى الكوفة ومعه قصّاص أهل الشام وقرّاؤهم،
واجتمع به الإمام عليه السلام في الكوفة[٣٠].

وقد خطب معاوية أهل الكوفة، وأعلن فيها عن رفضه لمعاهدة الصلح، وأنّه ما حارب إلاّ للتأمّر والتسلّط على رقاب المسلمين، كما سيأتي في المقدّمة الرابعة.

وخطب الإمام عليه السلام، فكان ممّا قال: «لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلا جدّه نبيٌّ غيري وغير أخي لم تجدوه، وإنّا قد أعطينا معاوية بيعتنا، ورأَينا أنّ حقن الدماء خير، (**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حين**) وأشار بيده إلى معاوية»[٣١].

هذا، وقد كان على مقدّمة معاوية ـ في دخوله الكوفة ـ خالد بن عرفطة، ويحمل رايته حبيب بن جماز..

روى الشريف الرضي رحمه الله: «عن أُمّ حكيم بنت عمرو، قالت: خرجت وأنا أشتهي أن أسمع كلام عليّ بن أبي طالب، فدنوت منه وفي الناس دقّة وهو يخطب على المنبر، حتّى سمعت كلامه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! استغفر لخالد بن عرفطة، فإنّه قد مات بأرض تيماء; فلم يردّ عليه، فقال الثانية، فلم يردّ عليه، ثمّ قال الثالثة، فالتفت إليه فقال: أيّها الناعي خالد بن عرفطة! كذبت، والله ما مات ولا يموت حتّى يدخل من هذا الباب يحمل راية ضلالة!

قالت: فرأيت خالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حين نزوله النخيلة، وأدخلها من باب الفيل»[٣٢]!!

وفي مقاتل الطالبيّين: «ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة، وبين يديه خالد بن عرفطة، ومعه رجل يقال له: حبيب بن جماز يحمل رايته، حتّى دخل الكوفة، فصار إلى المسجد، فدخل من باب الفيل، فاجتمع الناس إليه. فحدّثني أبو عبيد الصيرفي... عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: بينما عليٌّ عليه السلام على المنبر إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة!

فقال: لا والله ما مات.

إذ دخل رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة!

فقال: لا والله ما مات، ولا يموت حتّى يدخل من باب هذا المسجد ـ يعني باب الفيل ـ براية ضلالة، يحملها له حبيب ابن جماز!

---

(٢٩) تاريخ دمشق ١٣ / ٢٦٩، أُسد الغابة ١ / ٤٩٢، تاريخ الطبري ٣ / ١٦٩ حوادث سنة ٤١، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦٨.

(٣٠) أنساب الأشراف ٣ / ٢٨٧.

(٣١) تاريخ دمشق ١٣ / ٢٧٦، أُسد الغابة ١ / ٤٩٢.

(٣٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٠ ـ ٢١.

قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أنا حبيب بن جماز، وأنا لك شيعة!

قال: فإنّه كما أقول!

فقدم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية، يحمل رايته حبيب بن جماز!

قال مالك: حدّثنا الأعمش بهذا الحديث، فقال: حدّثني صاحب هذا الدار ـ وأشار بيده إلى دار السائب أبي عطاء ـ أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول هذه المقالة»[٣٣]!

ورواه الخطيب البغدادي مبتوراً: «عن أُمّ حكيم بنت عمرو الجدلية، قالت: لمّا قدم معاوية ـ يعني الكوفة ـ فنزل النخيلة، دخل من باب الفيل، وخالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتّى ركزها في المسجد»[٣٤].

وقال المفيد: «وهذا أيضاً خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم الرواة للآثار، وهو منتشر في أهل الكوفة، ظاهر في جماعتهم، لا يتناكره منهم اثنان، وهو من المعجز الذي بيّنّاه»[٣٥].

قال في «إمتاع الأسماع»: «وأخذ خالد بن عرفطة مصاحف

ابن مسعود، فأغلى الزيت وطرحها فيه... وقاتل مع معاوية، فلمّا كانت أيّام المختار بن أبي عبيد، أخذه فأغلى له زيتاً وطرحه فيه»[٣٦]، ومات سنة ٦٤.

والحجّة تامّة على ابن عرفطة في معاداته لعليّ عليه السلام وقتله الحسين عليه السلام، لأنّه اعترف بأنّه سمع النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم يحذّرهم: «إنّكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي»[٣٧]، كما اعترف ابن عرفطة بأنّ النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم حذّره شخصياً من الفتنة وقتل أهل بيته صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم! قال: «قال لي رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم: يا خالد! إنّها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبدَ اللّٰه المقتول لا القاتل فافعل»[٣٨].

* * *

(٣٣) مقاتل الطالبيّين: ٧٨ ـ ٧٩، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٣٤) تاريخ بغداد ١ / ٢٠٠ رقم ٣٩.

(٣٥) الإرشاد ١ / ٣٣٠.

(٣٦) إمتاع الأسماع ٤ / ٢٤٧.

(٣٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤ / ١٩٢ ح ٤١١١، قال في مجمع الزوائد ٩ / ١٩٤: «رواه الطبراني والبزّار، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير عمارة، وعمارة وثّقه ابن حبّان».

(٣٨) مسند أحمد ٥ / ٢٩٢.

المقدّمة الثالثة

في أهمّ بنود الصلح

بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

لقد كان من أهمّ بنود المعاهدة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية: أنْ لا يغتال الحسن والحسين، وأنْ يترك سبّ أمير المؤمنين، وأنْ لا يعهد بالأمر لأحد من بعده، بل يرجع الأمر إلى الإمام الحسن عليه السلام..

قال ابن حجر: «وذكر محمّد بن قدامة في كتاب الخوارج بسند قوي إلى أبي بصرة، أنّه سمع الحسن بن عليّ يقول في خطبته عند معاوية: إنّي اشترطت على معاوية لنفسي الخلافة بعده.

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح إلى الزهري، قال: كاتبَ الحسنُ بن عليّ معاويةَ واشترط لنفسه، فوصلت الصحيفة لمعاوية وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح، ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو لك; فاشترط الحسن أضعاف ما كان سأل أوّلا، فلمّا التقيا وبايعه الحسن سأله أن يعطيه ما اشترط في

السجلّ الذي ختم معاوية في أسفله، فتمسّك معاوية إلاّ ما كان الحسن سأله أوّلا، واحتجّ بأنّه أجاب سؤاله أوّل ما وقف عليه، فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن من الشرطين شيء!

وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبدالله بن شوذب، قال: لمّا قُتل عليٌّ سار الحسن بن عليّ في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده»[٣٩].

ونقل ابن عبدالبرّ إجماع العلماء على أنّ الصلح كان على شرط ولاية العهد للإمام الحسن عليه السلام، حيث قال: «هذا أصحّ ما قيل في تاريخ عام الجماعة، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة، من أهل السير والعلم بالخبر، وكلّ من قال: إنّ الجماعة كانت سنة أربعين، فقد وهم، ولم يقل بعلم، والله أعلم.

ولم يختلفوا أنّ المُغِيْرَة حجَّ عام أربعين على ما ذكر أبو معشر، ولو كان الاجتماع على معاوية قبل ذلك، لم يكن كذلك، والله أعلم.

ولا خلاف بين العلماء أنّ الحسن إنّما سلّم الخلافة لمعاوية حياته لا غير، ثمّ تكون له من بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها، وإنْ كان عند نفسه أحقَّ بها»[٤٠].

---

(٣٩) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١٣ / ٨١ ب ٢٠ ح ٧١٠٩.

وانظر: سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٦٤، وتاريخ دمشق ١٣ / ٢٦١، والاستيعاب ١ / ٣٨٦، وتهذيب التهذيب ٢ / ٢٧٦، والبداية والنهاية ٨ / ١٣، والإصابة ٢ / ٧٢، وتاريخ الخلفاء: ٢٢٧، وغيرها.

(٤٠) الاستيعاب ١ / ٣٨٧.

وفي «ذخائر العقبى»: «فأجابه معاوية، إلاّ أنّه قال: أمّا عشرة أنفس فلا أُؤمّنُهم! فراجعه الحسن فيهم، فكتب إليه يقول: إنّي قد آليت أنّني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده; فراجعه الحسن: إنّي لا أُبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعة، قلَّتْ أو كثرت; فبعث إليه معاوية حينئذ برقّ أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه، فأنا ألتزمه! فاصطلحا على ذلك.

واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كلّه معاوية، واصطلحا على ذلك»[٤١].

أمّا ابن عنبة في «عمدة الطالب»، فقال: «وشرط عليه شروطاً إن هو أجابه إليها سلّم إليه الأمر، منها: أنّ له ولاية الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسين»[٤٢].

(٤١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٢٤٠.

(٤٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٦٧.

المقدّمة الرابعة

في أنّ معاوية نقض العهد وقاتل من أجل الدنيا

لكنّ معاوية نقض العهد، ورفض الالتزام بما كتب ووقّع عليه، حتّى إنّه خاطب أهل الكوفة معترفاً بذلك حين قال:

«يا أهل الكوفة! أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟! ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون.

ألا إنّ كلّ مال أو دم أُصِيب في هذه الفتنة فمطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدمَيّ هاتين».

وهذا من الأخبار الثابتة المروية في المصادر المعتبرة كافّة[٤٣].

ومن هذا وغيره يظهر أنّه إنّما خرج على أمير المؤمنين عليه السلام من أجل الرئاسة، وأنّ الطلب بدم عثمان وغير ذلك كذب واضح.

وممّا يشهد بذلك أيضاً كلامه مع ابنة عثمان:

قالوا: «فتوجّه إلى دار عثمان بن عفّان، فلمّا دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم فإنّ لي حاجة في هذه الدار; فانصرفوا ودخل، فسكّن عائشة ابنة عثمان وأمرها بالكفّ وقال لها: يا بنت أخي! إنّ الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منّا شحّوا علينا بحقّنا وغمطناهم بحقّهم، ومع كلّ إنسان منهم شيعته وهو يرى مكان شيعته، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ثمّ لا ندري أتكون لنا الدائرة أم علينا؟ ولأن تكوني ابنة عمّ أمير المؤمنين أحبّ إليّ أن تكوني أمَة من إماء المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك[٤٤].

* * *

(٤٣) شرح نهج البلاغة ١٦ / ١٤ ـ ١٥، وانظر: مصنّف ابن أبي شيبة ٧ / ٢٥١ ح ٢٣، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٤٦، تاريخ دمشق ٥٩ / ١٥٠، الإرشاد ٢ / ١٤، البداية والنهاية ٨ / ١٠٥ حوادث سنة ٦٠، مقاتل الطالبيّين: ٧٧.

(٤٤) تاريخ دمشق ٥٩ / ١٥٤ ـ ١٥٥، العقد الفريد ٣ / ٣٥٤، البداية والنهاية ٨ / ١٠٦ ـ ١٠٧ حوادث سنة ٦٠.

المقدّمة الخامسة

في الإعلان عن العهد ليزيد

لقد كان معاوية يفكّر في الولاية ليزيد من بعده منذ حياة الإمام الحسن عليه السلام، وقد نصّ على ذلك كبار العلماء، نكتفي بكلام الحافظ ابن عبدالبرّ القرطبي إذ قال: «وكان معاوية قد أشار بالبيعة إلى يزيد في حياة الحسن، وعرّض بها، ولكنّه لم يكشفها، ولا عزم عليها إلاّ بعد موت الحسن»[٤٥].

والشواهد على ذلك كثيرة، ونكتفي كذلك بذِكر واحد منها، وهو خبر دخول الأخوين الأنصاريّين «عمارة بن عمرو» و «محمّد بن عمرو» عليه، وكلامهما معه عن الخليفة من بعده، وقد روى ابن عساكر هذا الخبر بترجمة كلا الرجلين من (تاريخه)، وهذا نصّ الخبر بترجمة «عمارة»، قال:

«دخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! قد كبرت سنّك ودقّ
عظمك واقترب أجلك، فأحببت أن أسألك عن رجال قومك وعن الخليفة من بعدك.

وكان معاوية يشتدّ عليه أنْ يقال: كبرت سنّك، أو يشكُّ في الخليفة أنّه يزيد.

فقال معاوية: نعيت لأمير المؤمنين نفسه، وسألته عن خَبيّ سرّه، وشككت في الخليفة بعده؟!

أخرجوه...».

ثمّ قال: «أدخلوه! فدخل، فقال: سألتني عن رجال قومي، فأعظمهم حلماً الحسن بن عليّ، وفتاهم عبدالله بن عامر، وأشدّهم خبّاً هذا الضبّ ـ يعني ابن الزبير ـ ، والخليفة بعدي يزيد.

قال له أبو أيّوب الأنصاري: اتّق الله ولا تستخلف يزيد.

قال: امرؤ ناصح، وإنّما أشرت برأيك; وإنّما هم أبناؤهم، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم»[٤٦].

وقد كثّف جهوده بعد استشهاد الإمام عليه السلام، بشتّى الأساليب، فقد روى في «العقد الفريد» عن أبي الحسن المدائني، أنّ في
سنة ٥٣ قرأ معاوية على الناس عهداً مفتعلا فيه عقد الولاية ليزيد بعده، قال: «وإنّما أراد أنْ يسهّل بذلك بيعة يزيد!

فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، ويشاور، ويعطي الأقارب ويداني الأباعد، حتّى استوثق له من أكثر الناس...»[٤٧].

---

(٤٥) الاستيعاب ١ / ٣٩١.

(٤٦) تاريخ دمشق ٤٣ / ٣١٩ ـ ٣٢٠، مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ١٩٨ رقم ١٤٢، وانظر: تاريخ دمشق ٥٥ / ٥ ـ ٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٣ / ١٤١ ـ ١٤٢ رقم ١٦٨.

وإذا ثبت أنّ معاوية كان يفكّر منذ زمن الإمام الحسن عليه السلام في العهد ليزيد من بعده، ظهر أنّ ما يقال من أنّ المُغِيْرَة ابن شعبة هو الذي اقترح عليه ذلك، غير صحيح.

نعم، قد اقترح عليه الإعلان الرسمي عمّا كان يريد، ولعلّه كان بالتنسيق معه، وهو منهما غير بعيد!

* * *

(٤٧) العقد الفريد ٣ / ٣٥٧.

المقدّمة السادسة

في مجمل ترجمة يزيد

لقد أجمع المؤرّخون، واتّفقت المصادر، وأطبقت الأخبار، على أنّ يزيد كان يرتكب أنواع الفجور والفسوق والكبائر الموجبة للدخول في النار والخلود في العذاب الأليم...

فقد نصّ البلاذري على أنّ يزيد كان أوّل من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء، والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة[٤٨].

وقال ابن كثير: إنّ يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتّخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلاّ يصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل: إنّ سبب موته أنّه حمل قردة وجعل ينقزها فعضّته...[٤٩].

وروى الواقدي وابن سعد وجماعة قولَ عبدالله بن حنظلة لأهل المدينة: يا قوم اتّقوا الله، فوالله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أُمّهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخلّ، ويدع الصلاة...[٥٠].

ومات يزيد بحوارين ـ قرية من قرى دمشق ـ لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة ٦٤ وهو ابن ٣٨ سنة.

قال ابن حبّان: وقد قيل: إنّ يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقص، فسقط على رأسه وتناثر دماغه فمات[٥١].

ولهذه الأغراض كان يذهب إلى حُوّارِين، وكان بها لمّا مات معاوية[٥٢].

* * *

(٤٨) أنساب الأشراف ٥ / ٢٩٩.

(٤٩) البداية والنهاية ٨ / ١٨٩ حوادث سنة ٦٤.

(٥٠) تاريخ الإسلام ٢ / ٣٧٣ حوادث سنة ٦٣ هـ .

(٥١) الثقات ٢ / ٣١٤.

(٥٢) تاريخ دمشق ٥٩ / ٢٣١.

الحلقة الأُولى

دور معاوية

في بابين

البابُ الأوّل

جهود معاوية

في سبيل حكومة يزيد

وفيه فصول:

الفصل الأوّل

ولاة الكوفة

في عهد معاوية

إنّ الملاحظ في تاريخ الكوفة أنّ ولاتها منذ اليوم الأوّل كانوا على خلاف مع أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، أو لم يكونوا من الموالين لهم، وكلامنا الآن في عهد معاوية...

المُغِيْرَة بن شُعْبَة

فإنّ أوّل مَن ولاّه معاوية على الكوفة هو المُغِيْرَة بن شعبة[٥٣]، وقد كان الوالي عليها من قبل عمر بن الخطّاب، وعزله عثمان... فلم يزل والياً عليها مِن قِبل معاوية إلى أن مات نحو سنة ٥٠ هـ .

وللمغيرة تراجم مطوّلة في كتب التاريخ والرجال، كتاريخ دمشق وسير أعلام النبلاء وغيرهما[٥٤]... والذي يجدر ذكره من أخباره: **خبر كيفية إسلامه،** فقد رووا عنه أنّه قال:

«كنّا قوماً من العرب، متمسّكين بديننا، ونحن سَدَنة اللات، قال: فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم، فأجمع نفر من بني مالك

الوفود على المُقَوْقس وأَهدوا له هدايا، وأجمعت الخروج معهم، فاستشرتُ عمّي عروة بن مسعود، فنهاني وقال: ليس معك من بني أبيك أحد، فأَبيتُ إلاّ الخروج، فخرجتُ معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري، حتّى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطلّ على البحر، فركبت زورقاً حتّى حاذيتُ مجلسه، فنظر إليَّ فأنكرني، وأَمر من يسألني مَن أنا وما أُريد، فسألني المأمور، فأخبرتُه بأَمرنا وقدومنا عليه، فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة.

ثمّ دعا بنا، فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه، وأجلسه معه ثمّ سأله: أكلّ القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلاّ رجل واحد من الأحلاف; فعرَّفه إيّاي، فكنت أهون القوم عليه، ووضعوا هداياهم بين يديه، فسرّ بها وأَمر بقبضها، وأمر لهم بجوائز وفضّل بعضهم على بعض، وقصّر بي، فأعطاني شيئاً قليلا، لا ذِكر له، وخرجنا.

وأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهليهم وهم مسرورون، ولم يعرضْ عليَّ رجل منهم مواساة، وخرجوا وحملوا معهم الخمر، فكانوا يشربون وأشرب معهم، وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم الملكُ ويخبرون قومي بتقصيره لي وازدرائه إيّاي، فأجمعت على قتلهم.

---

(٥٣) تاريخ بغداد ١ / ١٩٣ رقم ٣٠.

(٥٤) تاريخ دمشق ٦٠ / ١٣ ـ ٦٢ رقم ٧٥٩١، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢١ ـ ٣٢ رقم ٧، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٩٧ ـ ٩٨ رقم ١٨٤٨.

فلمّا كنّا ببيسان تمارضتُ وعصبت رأسي، فقالوا لي: ما لك؟ قلت:

أُصدَّع: فوضعوا شرابهم ودَعَوْني، فقلت: رأسي يُصَدّع ولكنّي أجلس فأسقيكم; فلم ينكروا شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلمّا دَبَّت الكأس فيهم اشتهوا الشراب، فجعلت أُصَرّف لهم وأنزع الكأس فيشربون ولا يدرون، فأهمدتهم الكأس حتّى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً، وأخذتُ جميع ما كان معهم.

فقدمت على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فأجده جالساً في المسجد مع أصحابه وعلَيَّ ثياب سفري، فسلّمتُ بسلام الإسلام، فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عروة؟ قال: قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهد أنّ محمّداً رَسُول اللّه; فقال رَسُول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «الحمد للّه الذي هداك للإسلام».

فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلتُ: نعم; قال: فما فعل المالكيّون الّذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رَسُول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ليخمّسها أو يرى فيها رأيه، فإنّما هي غنيمة من مشركين، وأنا مسلم مصدّق بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: **أمّا إسلامك فنقبله، ولا**

آخذ من أموالهم شيئاً، ولا أُخمّسه; لأنّ هذا غدر، والغدر لا خير فيه.

قال: فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: يا رسول اللّه! ما قتلتهم وأنا على دين قومي ثمّ أسلمتُ حيث دخلت عليك الساعة; قال: **فإنّ الإسلام يجبّ ما كان قبله.**

قال: «وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً، فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعوا للقتال، ثمّ اصطلحوا على أن تحمّل عني عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال المُغِيْرَة: وأقمت مع النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حتّى اعتمر عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة، فكان أوّل سفرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر الصدّيق، وأَلزَمُ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في من يلزمه»[٥٥].

ومن قضايا المُغِيْرَة ما فعله ـ مع الإحصان ـ مع امرأة، ودرء عمر بن الخطّاب الحدّ عنه، وهي قضيّته مع أُمّ جميل بنت عمرو، امرأة من قيس، في قضية هي من أشهر الوقائع التاريخية في العرب، كانت سنة ١٧ للهجرة، لا يخلو منها كتاب يشتمل على حوادث تلك السنة.

وقد شهد عليه بذلك كلٌّ من: أبي بكرة ـ وهو معدود في فضلاء

الصحابة وحملة الآثار النبوية ـ ، ونافع بن الحارث ـ وهو صحابي أيضاً ـ ، وشبل بن معبد، وكانت شهادة هؤلاء الثلاثة صريحة فصيحة بأنّهم رأوه يولجه فيها إيلاج الميل في المكحلة، لا يكنّون ولا يحتشمون، ولمّا جاء الرابع ـ هو زياد ابن سميّة ـ ليشهد، أفهمه الخليفة رغبته في أن لا يخزي المُغِيْرَة، ثمّ سأله عمّا رآه، فقال: رأيت مجلساً وسمعت نفساً حثيثاً وانتهازاً، ورأيته مستبطنها.

---

(٥٥) تاريخ دمشق ٦٠ / ٢٢ ـ ٢٤.

فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟

فقال: لا، ولكن رأيته رافعاً رجليها، فرأيت خصيتيه تتردّد إلى ما بين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً.

فقال عمر: رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟

فقال: لا.

فقال عمر: اللّه أكبر! قم يا مغيرة إليهم فاضربهم.

فقام يقيم الحدود على الثلاثة![٥٦].

قالوا: وكان المُغِيْرَة بن شُعْبَة من المعتزلة، لكنّ ابن عساكر روى

أنّه أراد من عمّار بن ياسر أنْ يتخلّى عن الدعوة لأمير المؤمنين عليّ عليه الصلاة والسلام[٥٧].

وروى الذهبي، عن عبداللّه بن ظالم، قال: «كان المُغِيْرَة ينال في خطبته من عليّ، وأقام خطباء ينالون منه»[٥٨].

زياد بن أبيه

ثمّ ولّى معاويةُ من بعد المغيرة على الكوفة وعلى البصرة: زيادَ بن أبيه، فلم يزل فيها حتّى مات سنة ٥٣[٥٩].

وُلد عام الهجرة.

وكان من المعتزلة، ولم يشهد وقعة الجمل.

واستلحقه معاوية سنة ٤٤.

● روى ابن عساكر بإسناده عن عوانة، قال: كان عليّ بن أبي طالب استعمل زياداً على فارس، فلمّا أُصيب عليٌّ وبويع معاوية احتمل المال ودخل قلعة من قلاع فارس تسمّى قلعة زياد، فأرسل معاوية ـ حين بويع ـ بسرَ بن أبي أَرطأة يجول في العرب، لا يأخذ رجلا عصى معاوية ولم يبايع له إلاّ قتله، حتّى انتهى إلى البصرة، فأخذ وُلد زياد فيهم عبيداللّه، فقال: واللّه لأقتلنّهم أو ليخرجنّ زياد من القلعة.

فركب أبو بكرة إلى معاوية فأخذ أماناً لزياد، وكتب كتاباً إلى بسر بإطلاق بني زياد من القلعة حتّى قدم على معاوية، فصالحه على ألف ألف.

---

(٥٦) راجع تفصيل ذلك في: وفيات الأعيان ٦ / ٣٦٤ ـ ٣٦٧، تاريخ الطبري ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣، الأغاني ١٦ / ١٠٥ ـ ١٠٩، المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ح ٥٨٩٢، تاريخ دمشق ٦٠ / ٣٣ و ٣٥ ـ ٣٩، المنتظم ٣ / ١٤٣ ـ ١٤٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٨٤، البداية والنهاية ٧ / ٦٦ ـ ٦٧، النصّ والاجتهاد: ٣٥٤ ـ ٣٥٨، وغيرها.

(٥٧) تاريخ دمشق ٦٠ / ٤٣ ـ ٤٤.

(٥٨) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١.

(٥٩) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٧ / ٦٩ ـ ٧٠ رقم ٢٩٨٠، أُسد الغابة ٢ / ١١٩ ـ ١٢٠ رقم ١٨٠٠، شذرات الذهب ١ / ٥٩، سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٩٦ رقم ١١٢.

ثمّ أقبل فلقيه مَصْقَلة بن هُبَيرة وافداً إلى معاوية، فقال له: يا مصقلة! متى عهدك بأمير المؤمنين؟

قال: عام أوّل.

قال: كم أعطاك؟

قال: عشرين ألفاً.

قال: فهل لك أن أُعطيكها على أن أُعجّل لك عشرة آلاف، وعشرة آلاف إذا فرغت، على أن تبلّغه كلاماً؟

قال: نعم.

قال: قل له إذا انتهيت إليه: أتاك زياد وافداً أكل بَرّ العراق وبحره فخدعك فصالحته على ألفَي ألف، واللّه ما أرى الذي يقال لك إلاّ حقّاً.

قال: نعم.

ثمّ أتى معاوية فقال له ذلك، فقال له معاوية: وما يقال يا مَصْقَلة؟!

قال: يقال: إنّه ابن أبي سفيان.

فقال معاوية: إنّ ذلك ليقال؟!

قال: نعم.

قال: أبى قائلها إلاّ إثماً.

فزعم أنّه أعطى مصقلة العشرة آلاف الأُخرى بعدما ادّعاه معاوية.

أخبرنا أبو العزّ أحمد بن عبداللّه بن كادش، أنا أبو يَعْلَى محمّد بن الحسين، أنا إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل، أنا الحسين بن الفهم الكوكبي، نا عبداللّه بن مالك، نا سليمان بن أبي شيخ، نا محمّد بن الحكم، عن عوانة، قال: كانت سُمَيّة لدهقان زَيْدَوُرد بكَسْكَر، وكانت مدينة ـ وهي اليوم قرية ـ، فاشتكى الدهقان، وخاف أن يكون بطنه قد استسقى، فدعا له الحارث بن كَلَدَة الثقفي، وقد كان قدم على كسرى، فعالج الحارثُ الدهقان فبرأ، فوهب له سُميّة أُمّ زياد، فولدت عند الحارث أبا بكرة وهو مسروح، فلم يقرّ به ولم ينفعه.

وإنّما سمّي أبا بكرة لأنّه نزل في بكرة مع مجلي العبيد من الطائف حين أمّن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عبيد ثقيف، ثمّ ولدت سمية نافعاً، فلم يقرّ بنافع.

فلمّا نزل أبو بكرة إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال الحارث لنافع: إنّ أخاك مسروحاً عبدٌ وأنت ابني; فأقرّ به يومئذ.

وزوّجها الحارث غلاماً له روميّاً يقال له: عُبيد، فولدت زياداً على فراشه.

وكان أبو سفيان صار إلى الطائف، فنزل على خمَّار يقال له: أبو مريم السلولي، وكانت لأبي مريم بعد صحبةٌ، فقال أبو سفيان لأبي مريم بعد أن شرب عنده: قد اشتدّت بي العزوبة، فالتمس لي بَغيّاً! قال: هل لك في جارية الحارث بن

كَلَدَة سُمَيّة امرأة عُبَيد؟ قال: هاتها على طول ثدييها وذفر إبطيها; فجاء بها إليه، فوقع عليها، فولدت زياداً، فادّعاه معاوية. فقال يزيد بن مُفَرّغ لزياد:

تذكر هل بيثرب زيدوردٌ *** قرى آبائك النَّبَط القحاح

قال عبدالله: قال سليمان: وحدّثنا محمّد بن الحكم، عن عوانة، قال: لمّا توفّي عليٌّ بن أبي طالب وزياد عامله على فارس وبويع لمعاوية، تحصّن زياد في قلعة فسُمّيت به، فهي تُدعى قلعة زياد إلى الساعة، فأرسل زياد مَن صالح معاوية على ألفَي ألف درهم، وأقبل زياد من القلعة، فقال له زياد: متى عهدك بأمير المؤمنين؟ فقال: عام أوّل; قال: كم أعطاك؟ قال: عشرين ألفاً; قال: فهل لك أن أُعطيك مثلها وتبلّغه كلاماً؟ قال: نعم; قال: قل له إذا أتيته: أتاك زياد وقد أكل بَرّ العراق وبحره فخدعك فصالحك على ألفَي ألف درهم، والله ما أرى الذي يقال إلاّ حقّاً، فإذا قال لك: ما يقال؟ فقل: يقال: إنّه ابن أبي سفيان; قال: أبى قائلها
إلاّ إثماً.

قال: فادّعاه، فما أعطى زيادٌ مصقلة إلاّ عشرة آلاف درهم إلاّ بعد أن ادّعاه»[٦٠].

● وعن عبدالملك بن عُمير، قال: شهدت زياد بن أبي سفيان، وقد صعد المنبر، فسلّم تسليماً خفيّاً وانحرف انحرافاً بطيئاً، وخطب خطبة بُتيراء ـ قال ابن الفيريابي: والبتيراء التي لا يُصلّى فيها على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين قد قال ما سمعتم، وشهدت الشهود بما قد علمتم، وإنّما كنتُ امرَأً حفظ الله منّي ما ضَيّع الناس، ووصل منّي ما قطعوا.

ألاَ إنّا قد سُسْنا وساست السائسون، وجَرّبْنا وجَرّبَنا المجرِّبون، وولينا وولي علينا الوالون، وإنّا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلاّ شدّة في غير عنف، ولين في غير ضعف.

وأيم الله إنّ لي لكم صرعى، فليحذر كلّ رجل منكم أن يكون من صرعاي، فوالله لآخذنّ البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتّى تلين لي قناتكم، وحتّى يقول القائل: «انج سعد فقد قُتل سعيد».

ألاَ رُبّ فَرِح بإمارتي لن ينفعه، ورُبّ كاره لها لن يضرّه، وقد كانت بيني وبين أقوام منكم دمنٌ وأحقاد، وقد جعلتُ ذلك خلف ظهري وتحت قدمي، فلو بلغني عن أحدكم أنّ البغض في قلبه ما كشفتُ له قناعاً، ولا هتكتُ له ستراً حتّى يبدي صفحته، فإذا أبداها فلم أقله عثرته.

ألاَ ولا كذبة أكثر شاهداً عليها من كذبة إمام على منبر، فإذا سمعتموها منّي فاغتمزوها فيَّ، فإذا وعدتكم خيراً أو شرّاً فلم أَفِ به فلا طاعة لي في رقابكم.

---

(٦٠) تاريخ دمشق ١٩ / ١٧٢ ـ ١٧٤.

ألاَ وأيّما رجل منكم كان مكتبه خُرَاسان فأجله سنتان ثمّ هو أمير نفسه، وأيّما رجل منكم كان مكتبه دون خُرَاسان فأجله ستّة أشهر ثمّ هو أمير نفسه، وأيّما امرأة احتاجت تأتينا [فإنّنا نعطيها عطاء زوجها] ثمّ نقاصّه به، وأيّما عقال فقدتموه من مقامي هذا إلى خُرَاسان فأنا له ضامن»[٦١].

● وعن هشام بن محمّد، عن أبيه، قال: كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبدشمس شيعةً لعليّ بن أبي طالب، فلمّا قدم زياد الكوفة والياً عليها أخافه، وطلبه زياد، فأتى الحسن بن عليّ، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم، وأخذ ماله، وهدم داره.

فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن عليّ إلى زياد، أمّا بعد، فإنّك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمتَ داره وأخذتَ ماله وعياله فحبستهم، فإذا أتاك كتابي هذا فابْنِ له داره، واردُدْ عليه عياله وماله، فإنّي قد أجرته فشفّعني فيه.

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعدُ، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سُوْقة، كتبت إليّ في فاسق لا يؤويه إلاّ مثله، وشرٌّ من ذلك تولّيه أباك وإيّاك، وقد علمتُ أنّك قد آويته إقامة منك على سوء الرأي، ورضاً منك بذلك، وأيم اللّه لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك. وإن نلتُ بعضك غير رفيق بك ولا مُرْع عليك، فإنّ أحبّ لحم إليَّ آكله للحم الذي أنت منه، فأسلمه بجريرته إلى من هو أَوْلى به منك، فإن عفوتُ عنه لم أكن شفّعتك فيه، وإنْ قتلته لم أقتله إلاّ بحبّه إيّاك.

فلمّا قرأ الحسن عليه السلام الكتاب تبسّم، وكتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إيّاه، ولفّ كتابه في كتابه وبعث به إلى معاوية، وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سُمَيّة: «الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر».

فلمّا وصل كتاب الحسن إلى معاوية وقرأ معاوية الكتاب ضاقت به الشام، وكتب إلى زياد: أمّا بعد، فإنّ الحسن بن عليّ بعث بكتابك إليّ

جوابَ كتابه إليك في ابن سرح، فأكثرتُ التعجّب منك، وعلمتُ أنّ لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان والآخر من سُمَيّة. فأمّا الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأمّا رأيك من سُمَيّة فما يكون رأي مثلها؟! ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرّض له بالفسق، ولعمري لأنت أَوْلى بالفسق من الحسن، ولأبوك ـ إذ كنت تنسب إلى عُبيد ـ أَوْلى بالفسق من أبيه، وإنّ الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك، وإنّ ذلك لم يضعك.

وأمّا تركك تشفيعه في ما شفع فيه إليك فحظٌّ دفعته عن نفسك إلى مَن هو أَوْلى به منك.

فإذا قدم عليك كتابي فخلّ ما في يدك لسعيد بن سرح، وابنِ له داره، ولا تعرض له، واردد عليه ماله، فقد كتبتُ إلى الحسن أن يخبر صاحبه إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلده، ليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان.

---

(٦١) تاريخ دمشق ١٩ / ١٧٩ ـ ١٨٠.

وأمّا كتابك إلى الحسن باسمه، ولا تنسبه إلى أبيه، فإنّ الحسن ـ ويلك ـ مَن لا يُرمى به الرَّجَوان، أفإلى أُمّه وكلته، لا أُمَّ لك، هي فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وتلك أفخر له إنْ كنت تعقل. وكتب في أسفل الكتاب:

تدارك ما ضيّعت من بعد خبرة *** وأنت أريبٌ بالأُمورِ خَبيرُ

أمّا حسنٌ بابن الذي كان قبله *** إذا سار سار الموت حيث يسيرُ

وهل يلد الرئبال إلاّ نظيره *** فذا حسنٌ شبهٌ له ونظيرُ

ولكنّه لو يوزن الحلم والحجى *** برأي لقالوا فاعلمنّ ثبيرُ

قال الغلابي: قرأت هذا الخبر على ابن عائشة، فقال: كتب إليه معاوية [حين] وصل كتاب الحسن في أوّل الكتاب الشعر والكلام بعده»[٦٢].

● وعن عبدالرحمن بن السائب، قال: جمع زياد أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرضهم على البراءة من عليّ، قال عبدالرحمن: فإنّي لَمَع نفر من الأنصار والناس في أمر عظيم، فهوّمتُ تهويمةً فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير، أهدب أهدل، فقلت: ما أنت؟ قال: أنا النَّقَّاد ذو الرقبة، بُعثت إلى صاحب هذا القصر; فاستيقظت فزعاً، فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا; فأخبرتهم، قال: ويخرج علينا خارج من القصر فقال: إنّ الأمير يقول لكم: انصرفوا عنّي فإنّي عنكم مشغول. وإذا الطاعون قد ضربه، فأنشأ عبدالرحمن بن السائب يقول...»[٦٣].

● وعن أبي كعب الجُرْمُوزي، أنّ زياداً لمّا قدم الكوفة، قال: أي أهل الكوفة! أعَبدٌ؟ قيل: فلان الحِمْيَري; فأرسل إليه فأتاه، فإذا سمت

ونحوٌ، فقال زياد: لو مال هذا مال أهل الكوفة معه.

فقال له: إنّي بعثت إليك لخير.

قال: قال: إنّي إلى الخير لفقير.

قال: بعثت إليك لأنولك وأُعطيك على أن تلزم بيتك فلا تخرج.

قال: سبحان اللّه! واللّه لصلاة واحدة في جماعة أحبّ إليَّ من الدنيا كلّها، ولزيارة أخ في اللّه وعيادة مريض أحبّ إليّ من الدنيا كلّها، فليس إلى ذلك سبيل.

قال: فاخرج وصلّ في جماعة، وزر إخوانك، وعد المريض، والزم شأنك.

قال: سبحان اللّه! أرى معروفاً لا أقول فيه؟! أرى منكراً لا أنهى عنه؟! فواللّه لمقام من ذلك واحد أحبّ إليّ من الدنيا كلّها.

قال: يا أبا فلان! ـ قال جعفر: أظنّ الرجل أبا المُغِيْرَة ـ فهو السيف!

قال: السيف.

---

(٦٢) تاريخ دمشق ١٩ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٦٣) تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٣.

فأمر به فضُربت عنقه!

قال جعفر: فقيل لزياد وهو في الموت: أبشِر.

قال: كيف وأبو المُغِيْرَة بالطريق؟!»[٦٤].

● وروى ابن عساكر: «كتب زياد إلى الحسن والحسين وعبدالله بن عبّاس يعتذر إليهم في شأن حجر وأصحابه; فأمّا الحسن فقرأ كتابه وسكت.

وأمّا الحسين فأخذ كتابه [فمزّقه][٦٥] ولم يقرأه.

وأمّا ابن عبّاس فقرأ كتابه وجعل يقول: كذب كذب.

ثمّ أنشأ يحدّث قال: إنّي لمّا كنت بالبصرة كبّر الناس بي تكبيرةً، ثمّ كبّروا الثانية، ثمّ كبّروا الثالثة، فدخل عليَّ زياد فقال: هل أنت مطيعي يستقم لك الناس؟

فقلت: ماذا؟

قال: أرسل إلى فلان وفلان وفلان ـ ناس من الأشراف ـ تضرب أعناقهم يستقم لك الناس.

فعلمتُ أنّه إنّما صنع بحُجر وأصحابه مثل ما أشار به عليّ»[٦٦].

عبدالله بن خالد بن أُسيد

قال ابن عساكر: «لمّا مات زياد سنة ٥٣، استخلف ـ يعني على الكوفة ـ عبدالله بن خالد بن أُسيد، فعزله معاوية وولاّها الضحّاك بن

قيس...»[٦٧].

وقال ابن الأثير: «استعمله زياد على بلاد فارس، واستخلفه زياد حين مات، وهو الذي صلّى على زياد، وأقرّه معاوية على الولاية بعد زياد. قاله الزبير»[٦٨].

وقال اليعقوبي: «لمّا نزل به الموت ـ أي بزياد بن أبيه ـ كتب إلى معاوية: إنّي أكتب إلى أمير المؤمنين وأنا في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، وقد استخلفت على عملي عبدالله بن خالد بن أُسيد.

فلمّا توفّي زياد ووضع نعشه ليصلّى عليه تقدّم عبيدالله ابنه فنحّاه، وتقدّم عبدالله بن خالد فصلّى عليه، فلمّا فرغ من دفنه خرج عبيدالله من ساعته إلى معاوية، فلمّا قيل لمعاوية: هذا عبيدالله; قال: يا بني! ما منع أباك أنْ يستخلفك؟!

---

(٦٤) تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٦.

(٦٥) إضافة من مختصر تاريخ دمشق ـ لابن منظور ـ ٩ / ٧٥.

(٦٦) تاريخ دمشق ١٩ / ١٧١ ـ ١٧٢.

(٦٧) تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٨٩، وانظر: تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٦٥.

(٦٨) أُسد الغابة ٣ / ١١٧ رقم ٢٩١٠، وانظر: نسب قريش: ١٨٨، الإصابة ٤ / ٧٢ رقم ٤٦٤٥.

أما لو فعل لفعلت; فقال: نشدتك اللّه يا أمير المؤمنين أن يقولها لي أحد بعدك ما منع أباه وعمّه أن يستعملاه؟! فولاّه خراسان، وصيّر إليه ثغرَي الهند»[٦٩].

وهو عبداللّه بن خالد بن أُسيد بن أبي العيص بن أُميّة، اختلفوا في صحبته ورؤيته للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٧٠].

وقد كان عبداللّه بن خالد صهر عثمان بن عفّان[٧١]، وكان عنده مقرّباً، حتّى إنّه لمّا فَعَلَ بأهل مكّة ما فعل في توسعة المسجد الحرام فأمر بحبسهم، كلّمه فيهم عبداللّه بن خالد[٧٢].

وأعطاه عثمان مرّةً خمسين ألفاً، فاعترض عليه كبار الصحابة; فقد جاء في خبر أنّ عثمان قال مخاطباً لعليّ وطلحة والزبير ـ وكان معاوية حاضراً ـ: «أنا أُخبركم عنّي وعمّا وليت، إنّ صاحبَيَّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومَن كان منهما بسبيل احتساباً، وإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة وقلّة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لِما أقوم به فيه، فإنْ رأيتم خطأً فردّوه، فأمري لأمركم تبع.

قالوا: أصبت وأحسنت، إنّك أعطيت عبداللّه بن خالد بن أُسيد خمسين ألفاً، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً، فاستعدها منهما. فاستعادها، فخرجوا راضين»[٧٣].

وكان عبداللّه عاملا لعثمان على مكّة، وبها مات[٧٤].

وقد ذكروا عنه أنّه كان يرى الأمر لوُلد عثمان من بعده، ولذا لم يشارك في وقعة الجمل، بل فارق القوم ورجع...

● قال الطبري: «حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: أخبرنا أبو عمرو، عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، قال: لقي سعيدُ بن العاص مروانَ بن الحكم وأصحابه بذات عرق، فقال: أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل؟! اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم.

قالوا: بل نسير، فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً.

فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدِقاني!

قالا: لأحدنا، أيّنا اختاره الناس.

قال: بل اجعلوه لوُلد عثمان، فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه.

قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟!

قال: أفلا أراني أسعى لأُخرجها من بني عبدمناف.

---

(٦٩) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٧٠) أُسد الغابة ٣ / ١١٧ رقم ٢٩١٠، الإصابة ٤ / ٧١ رقم ٤٦٤٥، وغيرهما.

(٧١) كتاب المحبّر: ٥٥، أنساب الأشراف ٦ / ٢٣٢، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٤.

(٧٢) الإصابة ٤ / ٧٢.

(٧٣) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٣٨.

(٧٤) أخبار مكّة ـ للفاكهاني ـ ٣ / ١٦٤.

فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن أُسيد، فقال المغيرة بن شعبة:

الرأي ما رأى سعيد، مَن كان ها هنا من ثقيف فليرجع; فرجع ومضى القوم معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق، فقالوا: من ندعو لهذا الأمر؟ فخلا الزبير بابنه عبدالله، وخلا طلحة بعلقمة بن وقّاص الليثي ـ وكان يؤثره على ولده ـ، فقال أحدهما: ائت الشأم; وقال الآخر: ائت العراق; وحاور كلّ واحد منهما صاحبه، ثمّ اتّفقا على البصرة»[٧٥].

هذا، وكأنّ معاوية لم يجد فيه الرجل المناسب لتطبيق خططه ومآربه في الكوفة، من أجل القضاء على الشيعة وتقوية الحزب الأُموي تمهيداً لحكومة يزيد من بعده.

ويشهد بذلك إجراؤه الحدَّ على عمر بن سعد بن أبي وقّاص ـ وهو من أعيان الحزب المذكور ـ كما روى ابن حبيب البغدادي حيث قال: «وَحَدَّ عبدُ اللّه بن خالد بن أُسيد عمرَ بن سعد بن أبي وقّاص، فغضب، فوفد على معاوية فشكا إليه عبدالله بن خالد وما ركبه به، وأخبره أنّه ظلمه، وسأله أن يقتصّ له منه، وأنْ يأخذ له منه حقّه.

فقال معاوية: يا ابن أخي! وجدته والله صلاته من بني عبدشمس.

فقال عمر: يا أمير المؤمنين! بك والله بدأ حين ضرب أخاك عنبسة بالطائف ثمّ لم تنتقم منه»[٧٦].

فلهذه الأُمور وغيرها عزله عن الكوفة[٧٧].

لكنّه ـ على كلّ حال ـ من بني أُميّة لا شبهة فيه[٧٨]، فجعله والياً على مكّة، قال الفاكهاني: «ومن ولاة مكّة أيضاً: عبدالله ابن خالد بن أُسيد في زمن معاوية»[٧٩].

الضحّاك بن قيس

ثمّ كان الوالي عليها: الضحّاك بن قيس، سنة ٥٤.

قال الواقدي: وُلد قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بسنة أو سنتين أو سبع.

لكنّ ابن عساكر قال: له صحبة، روى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً يسيراً، قال: ويقال: إنّه لا صحبة له.

وقال الذهبي: عداده في صغار الصحابة، وله أحاديث.

---

(٧٥) تاريخ الطبري ٣ / ٩ حوادث سنة ٣٦ هـ، وانظر: الكامل في التاريخ ٣ / ١٠٢ ـ ١٠٣ حوادث سنة ٣٦ هـ، تاريخ ابن خلدون ٢ ق ٥ / ٥٨٠ ـ ٥٨١، إمتاع الأسماع ١٣ / ٢٣٢.

(٧٦) المنمّق: ٣٩٨.

(٧٧) انظر: البداية والنهاية ٨ / ٥٨.

(٧٨) نسب قريش: ١٨٧، جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم ـ: ١١٣، أُسد الغابة ٣ / ١١٧ رقم ٢٩١٠، الإصابة ٤ / ٧١ رقم ٤٦٤٥.

(٧٩) أخبار مكّة ٣ / ١٧٦ ـ ١٧٧، وانظر: الزهور المقتطفة ـ للفاسي ـ: ٢١١ ب ٣٧.

لكن عن مسلم بن الحجّاج أنّه شهد بدراً. فقالوا: وهو وهمٌ فظيع.

وهو الضحّاك بن قيس بن خالد الأكبر... القرشي الفهري.

شهد صفّين مع معاوية وكان على أهل دمشق، وهم القلب.

وكان على شرطة معاوية، ثمّ ولاّه الكوفة.

وهو الذي صلّى على معاوية وقام بخلافته حتّى قدم يزيد من حوّارين.

ثمّ إنّ له أخباراً ووقائع بعد هلاك يزيد، لا حاجة إلى ذكرها حتّى قتل سنة ٦٤[٨٠].

عبدالرحمن بن أُمّ الحكم

ثمّ إنّ معاوية عزل الضحّاك بن قيس سنة ٥٧، وولّى مكانه عبدالرحمن بن أُمّ الحكم، واستدعى الضحّاك إلى الشام فكان معه إلى أن مات معاوية وصلّى عليه كما تقدّم، وهذه خلاصة ترجمة عبدالرحمن
المذكور، كما في تاريخ دمشق وغيره[٨١]:

هو: عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان الثقفي، وأُمّه أُمّ الحكم بنت أبي سفيان، أُخت معاوية. روى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مرسلا، وقيل: إنّ له صحبة، وصلّى خلف عثمان بن عفّان.

كان جدّه عثمان يحمل لواء المشركين يوم حنين، فقتله أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام.

ولاّه معاوية على الكوفة، ثمّ عزله عنها فولاّه مصر ثمّ الجزيرة، فكان عليها حتّى مات معاوية.

● ومن أخباره ما رواه ابن عساكر:

«كان عبدالرحمن بن أُمّ الحكم ينازع يزيد بن معاوية كثيراً، فقال معاوية لأبي خداش بن عتبة بن أبي لهب: إنّ عبدالرحمن لا يزال يتعرّض ليزيد، فتعرّض له أنت حتّى تُسمع يزيد ما يجري بينكما ولك عشرة آلاف درهم.

قال: عجّلها لي! فعجّلها له، فحُملت إليه، ثمّ التقوا عند معاوية، فقال أبو خداش: يا أمير المؤمنين! أعدني على عبدالرحمن، فإنّه قتل
مولىً لي بالكوفة.

فقال عبدالرحمن: يا ابن بنت! ألا تسكت؟!

فقال أبو خداش لعبد الرحمن: يا ابن تمدّر، يا ابن البريح، يا ابن أُمّ قدح!

فقال معاوية: يا أبا خداش! حسبك، يرحمك الله على دية مولاك.

---

(٨٠) ذكرنا ملخّص ترجمته عن: تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٨٠ ـ ٢٩٨ رقم ٢٩٢٠، أُسد الغابة ٢ / ٤٣١ ـ ٤٣٢ رقم ٢٥٥٧، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤ / ٢٨٦، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٤١ ـ ٢٤٥ رقم ٤٦، الإصابة ٣ / ٤٧٨ ـ ٤٨٠ رقم ٤١٧٣.

(٨١) انظر: تاريخ دمشق ٣٥ / ٥٣ ـ ٥٤ رقم ٣٨٥٦، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٥٥ رقم ١٦٩٩، تاريخ الطبري ٣ / ٢٥٢، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٥٨، أُسد الغابة ٣ / ٣٣٣ رقم ٣٢٨٤ و ص ٣٦٥ رقم ٣٣٣٩، البداية والنهاية ٨ / ٦٦.

فخرج أبو خداش ثمّ عاد إلى معاوية، فقال: أعطني عشرة آلاف أُخرى، وإلاّ أخبرت عبدالرحمن أنّك أنت أمرتني بذلك; فأعطاه عشرة آلاف، وقال: فسِّر ليزيد ما قلتَ لعبد الرحمن.

قال: هنّ أُمّهات لعبد الرحمن حبشيات، وقد ذكرهنّ ابن الكاهلية الثقفي، وهو يهجو ابن عمّ لعبد الرحمن:

ثلاث قد ولدنك من حُبُوش *** إذا يسمو خدينك بالزمامِ

تمدّر والبريح وأُمّ قدح *** ومجلوبٌ يعدّ من آلِ حامِ»

● قال ابن عساكر:

«قَتل عبدُ الرحمن بن أُمّ الحكم ابنَ صلوبا، فجاء الشيخ صلوبا فدخل المسجد آخذاً بلحية بيضاء، قال: فقال: يا معشر المسلمين! على ما قُتل ابني؟! على هذا صالحتُ عمر بن الخطّاب; قال: فقال الناس: ذمّتكم ذمّتكم! فاجتمع الناس، وجاء جرير، قال: فجاء عبدَ الرحمن ناسٌ فقالوا له: إنّا نخاف عليك، فأغلق باب المقصورة.

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن الحُصَين، أنا الحسن بن عيسى بن المقتدر، أنا أبو العبّاس أحمد بن منصور اليشكري، أنا أبو عبدالله الصولي، نا الحارث ابن أبي أُسامة، نا علي بن محمّد ابن سيف، قال: لمّا اشتدّ بلاء عبدالرحمن بن أُمّ الحكم على أهل الكوفة، قال عبدالله بن همّام السَّلُولي شعراً، وكتبه في رقاع، وطرحها في مسجد الجامع:

أَلاَ أبلغْ معاويةَ بن صخر *** فقد خرب السوادُ ولا سوادا

أرى العمّال أفتتنا علينا *** بعاجلِ نفعهم ظلموا العبادا

فهل لك أن تُدَارَك ما لدينا *** وتدفعَ عن رعيّتك الفسادا

وتعزل تابعاً أبداً هواه *** يخرّبُ مِن بَلادته البِلادا

إذا ما قلتُ: أقصر عن مداه *** تمادى في ضلالته وزَادا

فبلغ الشعر معاوية فعزله»[٨٢].

وذكر ابن عساكر وابن الأثير بترجمته، وكذا المؤرّخون ـ كالطبري وابن الجوزي وابن الأثير ـ في حوادث السنة ٥٨، أنّ عبدالرحمن أساء السيرة في أهل الكوفة فطردوه، قالوا: «استعمل معاوية ابن أُمّ الحكم على الكوفة، فأساء السيرة فيهم، فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له: أُولّيك خيراً منها مصر; فولاّه، فتوجّه إليها وبلغ معاوية بن حُدَيج السَّكُوني الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر، فقال: ارجع

إلى خالك، فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة.

قال: فرجع معاوية، وأقبل معاوية بن حُدَيج وافداً، وكان إذا جاء قُلِّسَتْ[٨٣] له الطريق ـ يعني ضُربت له قباب الريحان ـ ، قال: فدخل على معاوية وعنده أُمّ الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: بَخ، هذا معاوية بن حُدَيج.

---

(٨٢) تاريخ دمشق ٣٥ / ٥١ ـ ٥٢.

(٨٣) التقليس: استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو، كالضرب بالدفّ والغناء; انظر: لسان العرب ١١ / ٢٧٨ مادّة «قلس».

وضرب قباب الريحان ضرب من ضروب الاستقبال.

قالت: لا مرحباً به، تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه[٨٤].

فقال: على رِسْلك يا أُمّ الحكم، أمَا واللّه لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ، وولدتِ فما أنجبتِ، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا، فيسيرُ فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان اللّه ليرى ذلك، ولو فعل لضربناه ضرباً يصامي منه، وإن كان ذاك الجالس.

فالتفت إليها معاوية فقال: كُفّي»[٨٥].

النعمان بن بشير الأنصاري

وهو: النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري.

من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

كان النعمان بن بشير منقطعاً إلى معاوية، وولاّه الكوفة، فكان عليها حتّى مات معاوية، وأقرّه يزيد حتّى خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو الكوفة، فعزله بعبيد اللّه بن زياد، وأمّر يزيدُ النعمانَ على حمص، فكان عليها إلى ما بعد موت يزيد، ثمّ قتل هناك في سنة أربع أو خمس وستّين[٨٦].

وعن عبدالرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، أنّه أتى بيت المقدّس يريد الصلاة فيه، فجلس إلى رجل قد اجتمع الناس عليه، فقال: مَن الرجل؟

فقلت: رجل من أهل حمص.

قال: كيف وجدتم إمارة النعمان بن بشير؟

فذكرت خيراً.

قال: إذا أتيته فأقرئه منّي السلام وقل له: إنّ فضالة بن عبيد يقول لك: قوله لك وقولك له.

فقلت: واللّه ما أدري ما هذا؟!

قال: إنّي سأبيّنه لك; لقيته بالمدينة وهو معنيٌّ بالجهاد فقلت: أين تريد؟

فقال: إنّي ابتعت نفسي من اللّه، إنّي أُجاهد أو أُهاجر إلى الشام ولا أزال فيها حتّى يدركني الموت.

قال: فقلت له: لقد أفلحت إذاً; ولكنّي أرى فيك غير هذا.

قال: فقال لي: ما رأيت فيَّ؟!

---

(٨٤) مثلٌ يُضرب لمن خبره خير من مرآه، أوّل من قاله المنذر ابن ماء السماء، وقيل: النعمان بن المنذر.

انظر: جمهرة الأمثال ـ للعسكري ـ ١ / ٢٢٦، مجمع الأمثال ـ للميداني ـ ١ / ٢٢٧ رقم ٦٥٥.

(٨٥) تاريخ دمشق ٣٥ / ٥٢ ـ ٥٣، تاريخ الطبري ٣ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، المنتظم ٤ / ١١٠ ـ ١١١، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩، البداية والنهاية ٨ / ٦٦ ـ ٦٧.

(٨٦) انظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ١٢٢ رقم ١٩٣٠، التاريخ الكبير ٨ / ٧٥ رقم ٢٢٢٢، الجرح والتعديل ٨ / ٤٤٤ رقم ٢٠٣٣، تاريخ دمشق ٦٢ / ١١١ رقم ٧٨٩٧، أُسد الغابة ٤ / ٥٥٠ رقم ٥٢٣٠، تهذيب الكمال ١٩ / ١٠٠ رقم ٧٠٣٢، الإصابة ٦ / ٤٤٠ رقم ٨٧٣٤.

فقلت: كأنّي بك أتيت الشام، أتيت معاوية فدخلت عليه فانتسبت له، فقلت: أنا النعمان بن بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة.

فتقول له أُقاويل وتحدّثه بالخرافات، فيستعملك على مدينة إمّا أن تهلكهم وإمّا أن يهلكوك[٨٧].

هذا مجمل التعريف بالرجل، وسيأتي مزيد الكلام عليه في محلّه.

* * *

(٨٧) تاريخ دمشق ٦٢ / ١٢٥، تهذيب الكمال ١٩ / ١٠٠ ـ ١٠١ رقم ٧٠٣٢.

الفصل الثاني

تصفية الشيعة في الكوفة

أدوار الولاة

وقد كان لكلّ واحد من هؤلاء دور في تنفيذ مخطّطات معاوية والتمهيد لوصوله إلى مآربه... فقام كلّ واحد بالإجراءات اللازمة وتطبيق التعليمات المعيّنة...

أمّا المغيرة، فقد احتملنا قويّاً أنّ اقتراحه على معاوية بالعهد ليزيد كان بالتنسيق مع معاوية...

وأمّا النعمان بن بشير، فتأتي الإشارة إلى الدور الذي قام به في سبيل القضاء على سيدنا مسلم بن عقيل وأصحابه... في الباب الثاني.

والكلام الآن على دور زياد بن أبيه وأفعاله، ومن أهمّها القضاء على رجالات الشيعة في الكوفة، حتّى لا تبقى معارضة قوية لولاية يزيد، ولا يبقى أنصار للإمام الحسين الشهيد.

دور زياد في القضاء على رجالات الشيعة

فكم رجل من الشيعة البارزين ومن رؤساء القبائل العربية في الكوفة، استشهد على يد زياد، أو سجن، أو شُرّد في البلاد! وكم قطع الأيدي والأرجل وسمل الأعين!

قتل حُجر بن عديّ الكندي

ولعلّ من أهمّ وأقدم إجراءات زياد في الكوفة: قتله حجراً وعمرَو بن الحَمِق.

أمّا حُجر بن عديّ، فهو من أجلاّء أصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، بل لقد وصفه بعضهم بقوله: «هو راهب أصحاب محمّد»[٨٨].

ترجم له كبار المؤرّخين والرجاليّين:

قال ابن عبدالبرّ: «كان من فضلاء الصحابة، وصغر سنّه عن كبارهم، وكان على كندة يوم صِفّين، وكان على الميسرة يوم النهروان»[٨٩].

وقال ابن الأثير: «كان من فضلاء الصحابة، وكان على كندة بصِفّين، وعلى الميسرة يوم النهروان، وشهد الجمل أيضاً مع عليّ، وكان من أعيان أصحابه»[٩٠].

---

(٨٨) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٣١ كتاب معرفة الصحابة.

(٨٩) الاستيعاب ١ / ٣٢٩ رقم ٤٨٧.

(٩٠) أُسد الغابة ١ / ٤٦١ رقم ١٠٩٣.

وقال ابن حجر: «شهد القادسية، وإنّه شهد بعد ذلك الجمل

وصِفّين، وصحب عليّاً فكان من شيعته، وقُتل بمرج عذراء[٩١] بأمر معاوية»[٩٢].

وقال ابن كثير: «وفد إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم... وكان هذا الرجل من عبّاد الناس وزهّادهم، وكان بارّاً بأُمّه، وكان كثير الصلاة والصيام... ما أحدث قطّ إلاّ توضّأ، ولا توضّأ إلاّ صلّى ركعتين»[٩٣].

وقال الذهبي: «كان شريفاً، أميراً مطاعاً، أمّاراً بالمعروف، مقدِماً على الإنكار، من شيعة عليّ رضي اللّٰه عنهما، شهد صِفّين أميراً، وكان ذا صلاح وتعبُّد»[٩٤].

قال أحمد بن حنبل: «قلت ليحيى بن سليمان: أَبلَغك أنّ حُجراً كان

مستجاب الدعوة؟ قال: نعم، وكان من أفاضل أصحاب النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم»[٩٥].

وقال ابن سعد: «كان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير عليّ شيئاً»[٩٦].

قال الحاكم: «قُتل في موالاة عليّ»[٩٧].

وقد ذُكرت كيفيّة قتله في مختلف الكتب بالتفصيل[٩٨].

وكان زياد قد ألقى القبض على أربعة عشر رجلا من أصحاب حُجر وأرسلهم معه إلى الشام، فَقَتَل معاوية منهم خمسة مع حُجر، وهم: شريك بن شدّاد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي ثمّ المنقري، وكدام بن حيان العنزي.

وبعث معاوية عبدالرحمن بن حسّان العنزي إلى زياد، فدفنه بالكوفة حيّاً.

وأمّا السبعة الآخرون وهم: عبداللّٰه بن حوية التميمي، وسعيد بن

نمران الهمداني، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم ابن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، والأرقم بن عبداللّٰه الكندي، وعتبة بن الأخنس، فقد شفع فيهم بعض الشخصيات عند معاوية فأطلقهم[٩٩].

---

(٩١) مرج عذراء: من قرى غوطة دمشق، تقع في الشمال الشرقي منها، وتبعد عنها خمسة عشر ميلا تقريباً، وبها قبر حجر بن عديّ وأصحابه في مسجدها، ولا تزال إلى يومنا هذا، وأخطأ من زعم أنّه دُفن مع أصحابه بمسجد السادات الموجود في حيّ مسجد الأقصاب.

انظر: معجم ما استعجم ٣ / ٩٢٦ ـ ٩٢٧، معجم البلدان ٤ / ١٠٣ رقم ٨٢٥١، مراصد الاطّلاع ٢ / ٩٢٥.

(٩٢) الإصابة ٢ / ٣٧ رقم ١٦٣١.

(٩٣) البداية والنهاية ٨ / ٤١ حوادث سنة ٥١ هـ .

(٩٤) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٦٣ رقم ٩٥.

(٩٥) الاستيعاب ١ / ٣٣١.

(٩٦) الطبقات الكبرى ٦ / ٢٤٤ رقم ٢٢١٢.

(٩٧) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٣٤ ح ٥٩٨٣.

(٩٨) انظر مثلا: تاريخ الطبري ٣ / ٢١٨ ـ ٢٣٣، الأغاني ١٧ / ١٣٧ ـ ١٥٩، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٢٦ ـ ٣٣٨، البداية والنهاية ٨ / ٤٠ ـ ٤٥.

(٩٩) تاريخ دمشق ٨ / ٢٧.

وبما أنّ حُجراً كان من الصحابة الأجلاّء، فقد احتاجوا لإلقاء القبض عليه وقتله إلى إقامة الشهادة على إبائه من البراءة من أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، هذا الجرم الكبير الذي يُستحقُّ به القتل!! فكان من الشهود جمع كبير من الصحابة وأبناء الصحابة وسائر الشخصيات من الحزب الأُموي والخوارج، منهم:

عمرو بن حريث، خالد بن عرفطة، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيس بن الوليد بن عبدشمس بن المغيرة، إسحاق بن طلحة بن عبيدالله، موسى بن طلحة بن عبيدالله، إسماعيل بن طلحة بن عبيدالله، المنذر بن الزبير بن العوّام، عمر بن سعد بن أبي وقّاص، عمارة بن عقبة بن أبي معيط، شبث بن ربعي، القعقاع بن شور الذهلي، حجّار بن أبجر العجلي، عمرو بن الحجّاج الزبيدي، شمر بن ذي الجوشن، زحر بن قيس، كثير بن شهاب، عامر بن مسعود بن أُميّة بن خلف، محرز بن جارية بن ربيعة بن عبدالعزّى بن عبدشمس،

عبيدالله بن مسلم بن شعبة الحضرمي، عناق بن شرحبيل بن أبي دهم، وائل بن حجر الحضرمي، مصقلة بن هبيرة الشيباني، قطن بن عبدالله بن حصين الحارثي، السائب بن الأقرع الثقفي، لبيد بن عطارد التميمي، محضر بن ثعلبة، عبدالرحمن بن قيس الأسدي، عزرة بن عزرة الأحمسي[١٠٠].

وكان وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب الحارثي على رأس الجماعة الّذين أخذوا حُجراً وأصحابه إلى معاوية.

وإنّما ذكرنا أسماء الشهود لنقاط:

١ ـ ليُعلم أنّ الصحابي أو التابعي قد يشهد شهادة زور ويشترك في قتل النفس المحترمة!

٢ ـ ولأنّ جماعةً كبيرةً من هؤلاء تجد أسماءهم في قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وفي من حضر واقعة كربلاء لقتل سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سيّد الشهداء.

٣ ـ وهم من رجال الصحاح الستّة عند أهل السُنّة، الموثوقين المعتمدين، فاعرف قيمة كتبهم وعمّن يأخذون أحكامهم!!

هذا، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أخبر عن هذه الواقعة كما في رواية ابن عساكر: «عن أبي الأسود، قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل حُجر وأصحابه؟ فقال: يا أُمّ المؤمنين! إنّي رأيت قتلهم صلاحاً للأُمّة، وإنّ بقاءَهم فسادٌ للأُمّة.

فقالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: سيُقتل بعذراء ناس يغضب اللهُ لهم وأهلُ السماء»[١٠١].

---

(١٠٠) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٠ ـ ٢٣١، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٢٦ ـ ٣٣٨، البداية والنهاية ٨ / ٤٠ ـ ٤٥.

(١٠١) تاريخ دمشق ١٢ / ٢٢٦، وانظر: بغية الطلب ٥ / ٢١٢٩، كنز العمّال ١١ / ١٢٦ ح ٣٠٨٨٧، الجامع الصغير: ٢٩٣ ح ٤٧٦٥.

وأخبر بذلك أمير المؤمنين، فقد روى ابن عساكر: «عن ابن زرير الغافقي، عن عليّ بن أبي طالب، قال: يا أهل الكوفة! سيُقتل فيكم سبعة نفر من خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأُخدود»[١٠٢].

ومن العجب قوله لعائشة: «إنّي رأيت قتلهم صلاحاً للأُمّة...» حتّى إذا أوشك على الموت قال: «يومي منك يا حُجر طويل»[١٠٣]، وفي رواية أُخرى قال: «ما قتلت أحداً إلاّ وأنا أعرف فيمَ قتلتُه وما أردت به، ما خلا حُجر بن عديّ، فإنّي لا أعرف فيما قتلته؟!»[١٠٤].

وأيضاً، فقد روي أنّه لمّا قالت له عائشة: «يا معاوية، أما خشيت اللّه في قتل حُجر وأصحابه؟» قال: «لستُ أنا قتلتهم، إنّما قتلهم من شهد عليهم»[١٠٥].

وأوصى حُجر بأنْ يدفنوه بثيابه ودمائه قائلا: «لا تغسلوا عنّي دماً، ولا تطلقوا عنّي حديداً، وادفنوني في ثيابي، فإنّي ألتقي أنا ومعاوية على الجادّة غداً»[١٠٦].

قتل عمرو بن الحَمِق

وأمّا عمرو بن الحَمِق الخزاعي.. فمن مشاهير الصحابة أيضاً... ترجم له كبار المؤرّخين وعلماء الرجال:

قال ابن عبدالبرّ: «صحب النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وحفظ عنه أحاديث»[١٠٧].

وقد اتّفقوا على أنّه كان من شيعة أمير المؤمنين، وشهد معه حروبه.

روى ابن عساكر: «لمّا قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة

ابن أبي معيط فقال: إنّ عمرو بن الحَمِق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب.

فقال له عمرو بن حريث: ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقّنه ولا تدري ما عاقبته؟!

فقال زياد: كلاكما لم يصب، أنت حيث تكلّمني في هذا علانيةً، وعمرو حين يردّك عن كلامك، قوما إلى عمرو بن الحَمِق فقولا له: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك؟! من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد»[١٠٨].

واتّفقوا أيضاً على أنّه لمّا قبض زياد على حُجر بن عديّ، هرب إلى الموصل واختفى هناك.

ثمّ حاول بعضهم التكتّم على واقع الأمر، فزعم أنّه «نهشته حيّة فمات»[١٠٩]...

---

(١٠٢) تاريخ دمشق ١٢ / ٢٢٧.

(١٠٣) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٣٨.

(١٠٤) تاريخ دمشق ١٢ / ٢٣١، بغية الطلب ٥ / ٢١٢٧.

(١٠٥) تاريخ الطبري ٣ / ٢٣٢، الاستيعاب ١ / ٣٣١.

(١٠٦) مصنّف ابن أبي شيبة ٣ / ١٣٩ ب ٢٩ ح ٢، المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٣٣ ح ٥٩٧٩.

(١٠٧) الاستيعاب ٣ / ١١٧٣ ـ ١١٧٤ رقم ١٩٠٩.

(١٠٨) تاريخ دمشق ٤٥ / ٤٩٨، وانظر: الكامل في التاريخ ٣ / ٣١٨.

(١٠٩) الإصابة ٤ / ٦٢٤ رقم ٥٨٢٢.

لكنّهم عادوا فاتّفقوا على أنّه قد بُعث برأسه إلى معاوية، فكان أوّل رأس أُهدي في الإسلام[١١٠]، ومنهم من صرَّح بأنّ زياداً هو الذي بعث به إليه[١١١]...

ولكنِ انظر إلى كلام علماء السوء المدافعين عن الظالمين، الشركاء لهم في ظلمهم، يقول ابن عساكر: «كان أوّل رأس أُهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحَمِق، أصابته لدغة فتوفّي، فخافت الرسل أن يُتّهموا به فقطعوا رأسه فحملوه إلى معاوية»[١١٢].

لكنّ الحقيقة تنكشف وتجري على ألسنتهم:

فقال ابن حجر: «قال خليفة: قُتل سنة إحدى وخمسين، وأنّ عبدالرحمن بن عثمان الثقفي قتله بالموصل وبعث برأسه»[١١٣].

وأخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» الخبر التالي:

«... أنّه سمع عمرو بن الحَمِق يقول: بعث رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم بسرية فقالوا: يا رسول اللّٰه! إنّك تبعثنا وليس لنا زاد، ولا لنا طعام، ولا علم لنا بالطريق!

فقال: إنّكم ستمرُّون برجل صبيح الوجه، يطعمكم من الطعام، ويسقيكم من الشراب، ويدلّكم على الطريق، وهو من أهل الجنّة!

فلمّا نزل القوم علَيَّ جعل بعضهم يشير إلى بعض وينظرون إليَّ، فقلت: ما بكم يشير بعضكم إلى بعض وتنظرون إليَّ؟!

فقالوا: أبشِر ببشرى من اللّٰه ورسوله، فإنّا نعرف فيك نعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم.

فأخبروني بما قال لهم! فأطعمتهم وسقيتهم وزوّدتهم، وخرجت معهم حتّى دللتهم على الطريق، ثمّ رجعت إلى أهلي، وأوصيتهم بإبلي، ثمّ خرجت إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم فقلت: ما الذي تدعو إليه؟

فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلاّ اللّٰه، وأنّي رسول اللّٰه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان.

فقلت: إذا أجبناك إلى هذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟

قال: نعم.

فأسلمت ورجعت إلى قومي فأخبرتهم بإسلامي، فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثمّ هاجرت إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، فبينا أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمرو! هل لك أن أُريك آية الجنّة، يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟

قلت: بلى بأبي أنت.

---

(١١٠) الثقات ٣ / ٢٧٥، تاريخ دمشق ٤٥ / ٤٩٦، أُسد الغابة ٣ / ٧١٥ رقم ٣٩٠٦.

(١١١) الإصابة ٤ / ٦٢٤ رقم ٥٨٢٢.

(١١٢) تاريخ دمشق ٤٥ / ٤٩٦.

(١١٣) الإصابة ٤ / ٦٢٤ رقم ٥٨٢٢، وانظر: الطبقات ـ لابن خيّاط ـ : ١٨٠ رقم ٦٦٣، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٥٩ حوادث سنة ٥٠ هـ .

قال: هذا وقومه آية الجنّة; وأشار إلى عليّ بن أبي طالب.

وقال: يا عمرو! هل لك أن أُريك آية النار، يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟

قلت: بلى يا رسول اللّه بأبي أنت.

قال: هذا وقومه آية النار; وأشار إلى رجل.

فلمّا وقعت الفتنة ذكرت قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، ففررت من آية النار إلى آية الجنّة، وترى بني أُميّة قاتليَّ بعد هذا؟!

قلت: اللّه ورسوله أعلم.

قال: واللّه لو كنت في جُحْر في جوف جُحْر لاستخرجني بنو أُميّة حتّى يقتلوني! حدّثني به حبيبي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أنّ رأسي أوّل رأس تحتزّ في الإسلام وتنقل من بلد إلى بلد»[١١٤].

وفي هذا الخبر فوائد عديدة لا تخفى على الباحثين.

وقال ابن كثير: «فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أوّل رأس طيف به. ثمّ بعث معاوية برأسه إلى زوجته...»[١١٥].

سجن زوجة عمرو ونفيها إلى حمص

لقد كانت زوجة عمرو بن الحَمِق في سجن معاوية بالشام، قال ابن كثير بعد العبارة السابقة: «ثمّ بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد وكانت في سجنه، فأُلقي في حجرها، فوضعت كفّها على جبينه ولثمت فمه وقالت: غيّبتموه عنّي طويلا ثمّ أهديتموه إليّ قتيلا، فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقلية»[١١٦].

وترجم لها ابن عساكر فأورد الخبر المذكور، ثمّ روى خبراً آخر[١١٧].

قتل رشيد الهجري

وقتل زيادُ بن أبيه في الكوفة رشيداً الهجري...

وقد ذكره علماء رجال الحديث في كتبهم وجرحوه، وقد جمع ابن حجر كلماتهم فيه في كتاب «تعجيل المنفعة»[١١٨]، وقد نصّوا على أنّ زياداً بعث إلى رشيد، فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث[١١٩].

---

(١١٤) المعجم الأوسط ٤ / ٤١٧ ـ ٤١٨ ح ٤٠٨١، وانظر: مجمع الزوائد ١ / ٢٩ و ج ٩ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(١١٥) البداية والنهاية ٨ / ٣٩.

(١١٦) البداية والنهاية ٨ / ٣٩، وانظر: أُسد الغابة ٣ / ٧١٥ رقم ٣٩٠٦.

(١١٧) انظر: تاريخ دمشق ٦٩ / ٤٠ ـ ٤١ رقم ٩٣٠١.

(١١٨) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة: ١٦٠ رقم ٣١٨.

(١١٩) الأنساب ـ للسمعاني ـ ٥ / ٦٢٧ «الهجري»، تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٠، ميزان الاعتدال ٣ / ٧٩ ـ ٨٠ رقم ٢٧٨٧، لسان الميزان ٢ / ٤٦١ رقم ١٨٥٩.

قال الكشّي: «حدّثني أبو أحمد ـ ونسخت من خطّه ـ ، حدّثني

محمّد بن عبدالله بن مهران، قال: حدّثني محمّد بن عليّ الصيرفي، عن عليّ بن محمّد بن عبدالله الحنّاط، عن وهيب بن حفص الجريري، عن أبي حيّان البجلي، عن قنواء بنت رشيد الهجري، قال: قلت لها: أخبريني ما سمعت من أبيك؟

قالت: سمعت أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رشيد! كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أُميّة، فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

قلت: يا أمير المؤمنين! آخر ذلك إلى الجنّة؟

فقال: يا رشيد! أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه عبيدالله بن زياد الدعيّ، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأ منه; فقال له الدعيّ: فبأيّ ميتة قال لك تموت؟

فقال له: أخبرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة فلا أبرأ منه، فتقدّمني فتقطع يديّ ورجليّ ولساني.

فقال: والله! لأُكذّبنّ قوله فيك.

فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملتُ أطرافه يديه ورجليه; فقلت: يا أبه! هل تجد ألماً لِما أصابك؟

فقال: لا يا بنيّة! إلاّ كالزحام بين الناس.

فلمّا احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: إيتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة!!

فأرسل إليه الحجّام حتّى يقطع لسانه، فمات رحمة الله عليه في ليلته.

قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسمّيه «رشيد البلايا»، وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان في حياته إذا لقي الرجل قال له: فلان أنت تموت بميتة كذا! وتُقتل أنت يا فلان بقتلة كذا! فيكون كما يقول رشيد.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنت رشيد البلايا; أي تقتل بهذه القتلة، فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام»[١٢٠].

وروى في «إعلام الورى»، عن مجاهد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجري فقال له: ما قال لك صاحبك ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ إنّا فاعلون بك؟

قال: تقطعون يدَيّ ورجلَيّ وتصلبونني.

فقال زياد: أمَا والله لأُكذّبنّ حديثه! خلّوا سبيله!

فلمّا أراد أن يخرج، قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه! اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه!

فقال رشيد: هيهات! قد بقي لكم عندي شيء أخبرني

أمير المؤمنين عليه السلام به.

---

(١٢٠) رجال الكشّي ١ / ٢٩٠ ـ ٢٩١ ح ١٣١، وانظر: الاختصاص ـ للمفيد ـ : ٧٧.

قال ابن زياد: اقطعوا لسانه!

فقال له رشيد: الآن واللّه جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام[١٢١].

أقول:

الأصل في نقل الخبر الأخير المفيد في إرشاده[١٢٢]; رواه عن ابن عيّاش، عن مجاهد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجري...

ثمّ قال: وهذا الخبر نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمّن سمّيناه، واشتهر أمره عند علماء الجميع.

وروى ابن أبي الحديد، قال: «قال إبراهيم: وحدّثني إبراهيم بن العبّاس النهدي، حدّثني مبارك البجلي، عن أبي بكر ابن عيّاش، قال: حدّثني المجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد، وقد أُتي برشيد الهجري، وكان من خواصّ أصحاب عليّ عليه السلام، فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنّا فاعلون بك؟

قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني.

فقال زياد: أمَا واللّه لأُكذِّبَنَّ حديثه، خلّوا سبيله!

فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه! لا نجد شيئاً أصلح ممّا قال لك صاحبك، إنّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت; اقطعوا يديه ورجليه.

فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلّم.

فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه.

فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه.

فقال زياد: اقطعوا لسانه!

فلمّا أخرجوا لسانه ليقطع، قال: نفّسوا عنّي أتكلّم كلمة واحدة.

فنفّسوا عنه، فقال: هذا واللّه تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني.

فقطعوا لسانه وصلبوه[١٢٣].

هذا، وقد جرى الكلام بين العلماء في كونه من الصحابة أو لا؟

فعن جماعة ـ كابن إسحاق والواقدي وابن عبدالبرّ ـ أنّه من الصحابة، وأنّه أبو عقبة رشيد الفارسي، مولى جبير بن عتيك، روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وشهد معه أُحداً[١٢٤]... وعن جماعة آخرين إنكار ذلك والقول بالتعدّد[١٢٥].

---

(١٢١) إعلام الورى ١ / ٣٤٣.

(١٢٢) الإرشاد ١ / ٣٢٤ ـ ٣٢٦.

(١٢٣) شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٤.

(١٢٤) انظر: الاستيعاب ٢ / ٤٩٦ رقم ٧٧١، أُسد الغابة ٢ / ٧٠ رقم ١٦٧٨، الإصابة ٢ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦ رقم ٢٦٥٧.

(١٢٥) انظر: معرفة الصحابة ـ لأبي نُعيم ـ ٢ / ١١١٩ رقم ٩٨٣.

وقد جرّبناهم أكثر من مرّة، أنّهم ينكرون صحابيّة الرجل تخفيفاً للجريمة الواقعة عليه من الحكّام الظالمين; والله العالم.

قتل جويرية بن مسهر العبدي

قال ابن حجر : «جويرية بن مسهر العبدي، ويقال: ابن بشر بن مسهر، كوفي، روى عن عليّ، وعنه الحسن بن محبوب وجابر بن الحرّ. ذكره الكشّي في رجال الشيعة وقال: كان من خيار التابعين»[١٢٦].

ولم يُشر ابن حجر إلى مقتله على يد زياد.

قال ابن أبي الحديد: وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي، عن حبّة العرني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعليّ بن أبي طالب صديقاً وكان عليٌّ يحبّه; ونظر إليه يوماً وهو يسير فناداه: يا جويرية! إلحق بي، فإنّي إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان: فحدّثني الصباح، عن مسلم، عن حبّة العرني، قال: سرنا مع عليّ عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً فناداه: يا جويرية! إلحق بي لا أبا لك، ألا تعلم أنّي أهواك وأُحبّك!

قال: فركض نحوه، فقال له: إنّي محدّثك بأُمور فاحفظها.

ثمّ اشتركا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين! إنّي رجل نسيّ.

فقال له: إنّي أُعيد عليك الحديث لتحفظه.

ثمّ قال له في آخر ما حدّثه إيّاه: يا جويرية! أحبب حبيبنا ما أحبّنا، فإذا أبغضنا فابغضه، وابغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبّنا فأحبّه.

قال حبّة: دخل جويرية على عليّ عليه السلام يوماً، وهو مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيّها النائم! استيقظ، فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك.

قال: فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: وأُحدّثك يا جويرية بأمرك، أمَا والذي نفسي بيده، لتعتلنّ إلى العتلّ الزنيم، فليقطعنّ يدك ورجلك وليصلبنّك تحت جذع كافر.

قال: فوالله ما مضت إلاّ أيّام على ذلك حتّى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلا، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه[١٢٧].

وقال الشيخ المفيد في أحوال الإمام أمير المؤمنين، في فصل إخباره بالغائبات: «ومن ذلك: ما رواه العلماء: إنّ جويرية ابن مسهر وقف على باب القصر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل له: نائم; فنادى:

أيّها النائم استيقظ! فوالذي نفسي بيده، لتضربنَّ ضربةً على رأسك تخضب منها لحيتك كما أخبرتنا بذلك من قبل.

فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادى: أقبل يا جويرية حتّى أُحدّثك بحديثك. فأقبل، فقال: وأنت والذي نفسي بيده، لتعتلنَّ إلى العتلّ الزنيم، وليقطعنّ يدك ورجلك، ثمّ ليصلبنّك تحت جذع كافر.

---

(١٢٦) لسان الميزان ٢ / ١٤٤ رقم ٦٣٤، وانظر: رجال الكشّي ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ رقم ١٦٩.

(١٢٧) شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩١.

فمضى على ذلك الدهر، حتّى ولّي زياد في أيّام معاوية، فقطع يده ورجله، ثمّ صلبه إلى جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلا فكان تحته»[١٢٨].

الحضرميّان

وممّن قتلهم زياد بن أبيه في الكوفة الحضرميّان، وهما:

عبدالله بن نجي الحضرمي الكوفي.

ومسلم بن زيمر الحضرمي الكوفي.

قال ابن حبيب: «وصلب زياد بن أبيه مسلم بن زيمر وعبدالله بن نجيّ الحضرميّين على أبوابهما أيّاماً بالكوفة، وكانا شيعيّين، وذلك بأمر معاوية، وقد عدّهما الحسين بن عليّ رضي الله عنهما على معاوية في كتابه إليه: ألستَ صاحب حُجر والحضرميّين اللذين كتب إليك

ابن سميّة أنّهما على دين عليّ ورأيه. فكتبت إليه: مَن كان على دين عليّ ورأيه فاقتله ومثّل به; فقتلهما ومثّل ـ بأمرك ـ بهما؟!...»[١٢٩].

أمّا مسلم المذكور، فلم نجد له ـ فعلا ـ ترجمةً..

وأمّا عبدالله بن نجيّ، فمن رجال النسائي وأبي داود وابن ماجة، ترجم له في تهذيب الكمال فقال: «كان أبوه على مطهرة عليّ». ثمّ ذكر روايته عن عليّ والحسين وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر[١٣٠].

تسيير الآلاف من الكوفة إلى خراسان

وكان من إجراءات زياد بن أبيه في الكوفة أنْ سيّر آلافاً من أهل الكوفة ـ وفيهم بعض الرجالات ـ بعيالاتهم إلى خراسان...

قال البلاذري: «ثمّ ولّى زيادُ بن أبي سفيان الربيعَ بن زياد الحارثي سنة إحدى وخمسين خراسان، وحوّل معه من أهل المصرين ـ يعني الكوفة والبصرة ـ زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم، وكان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبدالله، وبمرو توفّي أيّام يزيد بن معاوية، وكان أيضاً أبو برزة الأسلمي عبدالله بن نضلة، وبها مات، وأسكنهم دون النهر.

والربيعُ أوّل مَن أمر الجندَ بالتناهد، ولمّا بلغه مقتل حُجر ابن عديّ الكندي غمّه ذلك، فدعا بالموت، فسقط من يومه فمات، وذلك سنة ثلاث وخمسين، واستخلف عبدالله ابنه...»[١٣١].

---

(١٢٨) الإرشاد ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(١٢٩) المحبَّر: ٤٧٩، لمحمّد بن حبيب البغدادي، المتوفّى سنة ٢٤٥; انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٧ رقم ٧٥١.

(١٣٠) تهذيب الكمال ١٠ / ٥٨٦ رقم ٣٥٩٧.

(١٣١) فتوح البلدان: ٤٠٠ ـ ٤٠١.

وروى الطبري، أنّه لمّا بلغه خبر حُجر قال: «لا تزال العرب تُقتل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله لم يُقتل رجل منهم صبراً، ولكنّها أقرّت فذلّت»[١٣٢].

وفي هذا الخبر قرائن على أنّ الّذين سيّرهم كانوا كلّهم أو كثيرٌ منهم من الموالين لأهل البيت عليهم السلام; ثمّ هل يصدّق الخبر بأنّه دعا بالموت فسقط فمات بصورة طبيعيّة؟!

آخر ما عزم زياد على فعله

قالوا: وكان آخر ما عزم على فعله زياد في الكوفة سنة ثلاث وخمسين هو: أن جمع الناس، فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف[١٣٣]!

* * *

(١٣٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٤٠ حوادث سنة ٥٣ هـ .

(١٣٣) انظر: مروج الذهب ٣ / ٢٦، تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٣.

الفصل الثالث

الإجراءات

في الشام والحجاز

وشرع معاوية ـ بعد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام ـ يمهّد الطريق لولاية يزيد، وسعى جاهداً للوصول إلى هذا الهدف، واستخدم لذلك الوسائل كافّة حتّى اللامشروعة منها، وفي ما يلي نماذج ممّا ارتكبه في هذا السبيل:

١ ـ الاغتيال

لقد كان معاوية على علم بعدم نجاح الفكرة ما لم يقض على الإمام الحسن وعدّة من الشخصيات وعلى عائشة بنت أبي بكر...

سمّ سعد بن أبي وقّاص

وكيف تصفو الحكومة ليزيد مع وجود سعد بن أبي وقّاص، وهو أحد العشرة المبشّرة الّذين مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وهو عنهم راض، في ما يروون، وهو أحد الستّة أصحاب الشورى؟!

لقد كان سعد يعارض معاوية في بعض القضايا ولا يخضع له، فكيف يرضى بولده يزيد، أو يسكت عنه في الأقلّ؟! إنّه لم يجد بدّاً من أنْ يدسّ إليه السمّ، ويقضي عليه بهذه الطريقة ويستريح منه...

فقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده عن أبي حفص الأبّار، عن

إسماعيل بن عبدالرحمن، قال: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن عليّ وسعد ابن أبي وقّاص، فدسَّ إليهما سمّاً فماتا منه»[١٣٤].

قتل عائشة

وعائشة أيضاً من المعارضين... دخل معاوية عليها دارها وقال لها في كلام له: «وإنّ أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكّد الناس بيعتهم في أعناقهم وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم، أفترين أن ينقضوا عهودهم ومواثيقهم؟!

فلمّا سمعت ذلك عائشة، علمت أنّه سيمضي على أمره فقالت: أمّا ما ذكرت من عهود ومواثيق، فاتّق اللّه في هؤلاء الرهط ولا تعجل عليهم، فلعلّهم لا يصنعون إلاّ ما أحببت»[١٣٥].

وفي بعض المصادر : أنّه كان معاوية على المنبر يأخذ البيعة ليزيد، فقالت عائشة: هل استدعى الشيوخ لبنيهم البيعة؟!

قال: لا.

قالت: فبمن تقتدي؟! فخجل.

---

(١٣٤) مقاتل الطالبيّين: ٨٠، وعنه شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ١٦ / ٤٩.

(١٣٥) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

فلمّا زارته عائشة في بيته، هيّأ حفرةً، فوقعت فيها وكانت راكبةً، فماتت، فكان عبدالله بن الزبير يعرّض به:

لقد ذهب الحمار بأُمّ عمرو *** فلا رجعتْ ولا رجعَ الحمارُ

وبقي الّذين أشار إليهم بقوله للأنصاريّين:

«وإنّما هم أبناؤهم، فابني أحبّ إليّ من أبنائهم»[١٣٦] يعني: الإمام الحسين عليه السلام، وهو ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر بن الخطّاب، وعبدالله بن الزبير بن العوّام.

فجعل يطلب منهم البيعة بشتّى الأساليب، كما سيأتي.

سمّ عبدالرحمن بن أبي بكر

وكان من أشهر المعارضين لولاية يزيد: عبدالرحمن بن أبي بكر، فقد عارض ذلك بشدّة وقال:

«أهرقلية؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟! لا نفعل والله أبداً».

فبعث إليه بمئة ألف درهم، فردّها عبدالرحمن وقال: «أبيع ديني بدنياي؟!».

وما لبث أن مات[١٣٧].

وروى ابن الأثير: إنّ مروان خطب فقال: «إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده.

فقام عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت ـ والله ـ يا مروان، وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأُمّة محمّد، ولكنّكم تريدون أنْ تجعلوها هرقليّة، كلّما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا**)[١٣٨] الآية.

فسمعت عائشة مقالته، فقامت من وراء الحجاب وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن إنّه نزل فيه القرآن؟! كذبت والله، ما هو به، ولكنّه فلان بن فلان، ولكنّك أنت فضض من لعنة نبيّ الله.

وقام الحسين بن عليّ، فأنكر ذلك.

وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير.

فكتب مروان بذلك إلى معاوية»[١٣٩].

وفي تاريخ الطبري: «بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن عليّ وابن عمر وابن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبّاس.

---

(١٣٦) انظر المقدِّمة الخامسة من الكتاب.

(١٣٧) الاستيعاب ٢ / ٨٢٥ ـ ٨٢٦ رقم ١٣٩٤.

(١٣٨) سورة الأحقاف ٤٦: ١٧.

(١٣٩) الكامل في التاريخ ٣ / ٣٥١ ـ ٣٥٢ حوادث سنة ٥٦، وانظر: تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ـ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

فلمّا قدم معاوية... أرسل إلى عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: يا ابن أبي بكر، بأيّة يد أو رجل تقدم على معصيتي؟!

قال: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي.

فقال: واللّه لقد هممت أن أقتلك.

قال: لو فعلت لأتبعك اللّه به لعنةً في الدنيا وأدخلك به في الآخرة النار»[١٤٠].

قالوا: فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات، بعدما خرج معاوية من المدينة[١٤١].

سمّ عبدالرحمن بن خالد وكان أهل الشام يريدونه

وهكذا فعل بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان حامل اللواء الأعظم معه في صِفّين[١٤٢]! ـ لمّا رأى توجّه أهل الشام إليه وحبّهم له..

قال الحافظ ابن عبدالبرّ: «إنّه لمّا أراد معاوية البيعة ليزيد، خطب

أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام! إنّه قد كبرت سنّي، وقرب أجلي، وقد أردت أنْ أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنّما أنا رجل منكم، فأروا رأيكم.

فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدَ الرحمن بن خالد.

فشقّ ذلك على معاوية، وأسرّها في نفسه.

ثمّ إنّ عبدالرحمن مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً، وكان عنده مكيناً، أنْ يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها. فأتاه فسقاه، فانخرق بطنه فمات»[١٤٣].

وقد سمّى ابن عساكر الطبيب اليهودي فقال: «فأمر ابن أثال أنْ يحتال في قتله، وضمن له إنْ هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يولّيه جباية خراج حمص، فلمّا قدم عبدالرحمن حمص منصرفاً من بلاد الروم، دسّ إليه ابن أثال شربةً مسمومةً مع بعض مماليكه، فشربها، فمات بحمص، فوفّى معاوية بما ضمن له، وولاّه خراج حمص ووضع عنه خراجه»[١٤٤].

وذكر ابن عساكر أنّ معاوية حبس خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، ولم يخرج من الحبس حتّى مات معاوية[١٤٥].

عاقبة أمر زياد بن أبيه

---

(١٤٠) تاريخ الطبري ٣ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ حوادث سنة ٥٦ هـ .

(١٤١) التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ٥ / ٢٤٢ رقم ٧٩٥، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٤٣، أُسد الغابة ٣ / ٢٦٥ رقم ٣٣٣٨.

(١٤٢) الأخبار الطوال: ١٧٢.

(١٤٣) الاستيعاب ٢ / ٨٢٩ ـ ٨٣٠ رقم ١٤٠٢.

(١٤٤) تاريخ دمشق ١٦ / ١٦٤ رقم ١٨٩٧، وانظر: أنساب الأشراف ٥ / ١١٨، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٢، تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٢، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٠٩، البداية والنهاية ٨ / ٢٥ حوادث سنة ٤٦ هـ .

(١٤٥) تاريخ دمشق ١٦ / ٢١٥ رقم ١٩١٩.

بقي أنْ نذكر عاقبة أمر زياد بن أبيه، فإنّه أشار على معاوية أن لا يعجل في استخلاف يزيد، كما أمر يزيد بالكفّ عن كثير ممّا كان يصنع: وفي بعض المصادر ما يفيد أنّه كان يريدها لنفسه، ويشهد بذلك أنّ معاوية لمّا وصلته رسالة زياد قال: «ويلي على ابن عبيد، لقد بلغني أنّ الحادي حدا له أنّ الأمير بعدي زياد، واللّه لأردّنّه إلى أُمّه سميّة وإلى أبيه عبيد»[١٤٦].

قالوا: «فخرج في إبهامه طاعونة، فما أتت عليه إلاّ جمعة حتّى مات»[١٤٧] ممّا يظنّ قويّاً بكونه ممّن قتلهم معاوية... وكان أهلُ البيت عليهم الصلاة والسلام قد دعوا عليه لِما كان يصنع بشيعتهم.

٢ ـ التبعيد

وحتّى بنو أُمّية، كانوا لا يتوهّمون وصول يزيد إلى الحكم يوماً من الأيّام، بل لقد كان فيهم من يمنّي نفسه بذلك.

بل ظاهر ما جاء في تاريخ ابن عساكر[١٤٨] من أنّه: «كان أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون: واللّه لا ينالها يزيد حتّى ينال هامه الحديد، إنّ الأمير بعده سعيد[١٤٩]».

هو أنّ هذا كان رأي أهل المدينة كلّهم.

ثمّ ذكروا أنّ سعيداً طرح الموضوع على معاوية بصراحة، وأنّه قد طلب منه أن يرشّحه للحكم بدلا عن يزيد.

قال ابن كثير: «وقد عاتب معاويةَ ـ في ولايته يزيد ـ سعيدُ ابن عثمان بن عفّان، وطلب منه أنْ يولّيه مكانه، وقال له سعيد في ما قال: إنّ أبي لم يزل معتنياً بك حتّى بلغت ذروة المجد والشرف، وقد قدّمتَ ولدك علَيَّ وأنا خير منه أباً وأُمّاً ونفساً.

فقال له: أمّا ما ذكرت من إحسان أبيك إليَّ فإنّه أمر لا ينكر. وأمّا

كون أبيك خيراً من أبيه فحقٌّ، وأُمّك قرشية وأُمّه كلبية فهي خير منها. وأمّا كونك خيراً منه، فواللّه لو مُلئت إليّ الغوطةُ رجالا مثلك لكان يزيد أحبّ إليَّ منكم كلّكم»[١٥٠].

وقد روى ابن خلّكان كلام سعيد بألفاظ أُخرى تهمّنا في المباحث الآتية، قال:

---

(١٤٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٨.

(١٤٧) تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٣ رقم ٢٣٠٩، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٣٨ حوادث سنة ٥٣ هـ، الاستيعاب ٢ / ٥٣٠ رقم ٨٢٥، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٤١، سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٩٦ رقم ١١٢.

(١٤٨) تاريخ دمشق ٢١ / ٢٢٣.

(١٤٩) أي: سعيد بن عثمان بن عفّان، الذي عزله معاوية سنة ٥٧ هـ عن خراسان، وولاّها عبيداللّه بن زياد بعدما كان قد ولاّها إيّاه قبل عزله عنها بسنة واحدة.

انظر: تاريخ دمشق ٢١ / ٢٢٣.

(١٥٠) البداية والنهاية ٨ / ٦٥ حوادث سنة ٥٦ هـ.

«إنّ سعيد بن عثمان بن عفّان ـ رضي اللّٰه عنه ـ دخل على معاوية بن أبي سفيان، فقال له: علام جعلت ولدك يزيد وليّ عهدك دوني؟! فواللّٰه لأَبي خير من أبيه، وأُمّي خير من أُمّه، وأنا خير منه، وقد ولّيناك فما عزلناك، وبنا نلت ما نلت.

فقال له معاوية: أمّا قولك... وأمّا قولك: إنّكم ولّيتموني فما عزلتموني، فما ولّيتموني، وإنّما ولاّني من هو خير منكم عمر بن الخطّاب رضي اللّٰه عنه، فأقررتموني، وما كنت بئس الوالي منكم، لقد قمت بثأركم، وقتلت قتلة أبيكم، وجعلت الأمر فيكم، وأغنيت فقيركم، ورفعت الوضيع منكم.

فكلّمه يزيد في أمره فولاّه خراسان»[١٥١].

وقال ابن عساكر: إنّ معاوية عزله عن خراسان في سنة ٥٧[١٥٢].

وقال البلاذري: «كان معاوية قد خاف سعيداً على خلعه، ولذلك عاجله بالعزل»[١٥٣].

قال ابن عساكر: «قدم سعيد بن عثمان المدينة، فقتله غلمان جاء بهم من الصَّغْد، وكان معه عبدالرحمن بن أرطاة ابن سيحان حليف بني حرب بن أُميّة»[١٥٤].

قالوا: ثمّ قتل الغلمانُ بعضُهم بعضاً فلم يبق منهم أحد[١٥٥].

هذا بالنسبة إلى سعيد بن عثمان بن عفّان باختصار، وقضيّته غامضة جدّاً.

وكذلك كان موقف غيره من بني أُميّة، كمروان بن الحكم:

روى ابن قتيبة والمسعودي، أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية: «إنّ قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فَارْأَ رأيَك».

فلمّا بلغ معاوية كتابه عرف أنّ ذلك من قبله، فكتب إليه يأمره أنْ

يعتزل عمله، ويخبره أنّه قد ولّى المدينة سعيد بن العاص[١٥٦].

٣ ـ بذل الأموال

ومن جملة أساليبه للعهد ليزيد: بذل الأموال على الوفود إليه والشخصيّات في الحجاز وغيرها، فقد ذكروا أنّه أشار على المغيرة بن شعبة أن يوفد إليه وفداً من الكوفة يطالبونه بالعهد ليزيد والبيعة معه، فأرسل أربعين رجلا من وجوه الكوفة، وأمَّر عليهم ابنه عروة بن المغيرة، فدخلوا على معاوية فقاموا خطباء، فذكروا أنّه إنّما أشخصهم إليه النظر

---

(١٥١) وفيات الأعيان ٦ / ٣٤٨ رقم ٨٢١ ترجمة يزيد بن مفرغ الحميري; وانظر: الأغاني ١٨ / ٢٧٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٥٥.

(١٥٢) تاريخ دمشق ٢١ / ٢٢٣، وانظر: تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٠، مرآة الجنان ١ / ١٠٤، شذرات الذهب ١ / ٦١.

(١٥٣) فتوح البلدان: ٤٠٣.

(١٥٤) تاريخ دمشق ٢١ / ٢٢٧، وانظر: نسب قريش: ١١١، الأغاني ١ / ٤٢ و ج ٢ / ٢٤٦.

(١٥٥) جواهر التاريخ ٢ / ٣٤١.

(١٥٦) عزله سنة ٥٨ هـ ; وفي تاريخ الطبري ٣ / ٥٨ أنّه لمّا عزل مروان عن المدينة ولّى عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

لأُمّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، فقالوا: يا أمير المؤمنين! كبرت سنّك وتخوّفنا الانتشار من بعدك; يا أمير المؤمنين، أَعْلِمْ لنا علماً وحُدَّ لنا حدّاً ننتهي إليه.

قال: أشيروا علَيَّ.

قالوا: نشير عليك بيزيد ابن أمير المؤمنين.

قال: وقد رضيتموه؟

قالوا: نعم.

قال: وذاك رأيكم؟

قالوا: نعم، ورأي مَن بعدنا.

فأصغى إلى عروة ـ وهو أقرب القوم منه مجلساً ـ فقال: للّه أبوك! بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟

قال: بأربعمئة.

قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً[١٥٧].

قالوا: وأعطى معاوية شخصيّات وفد البصرة جوائز، كلّ واحد مئة ألف درهم، وكان فيهم الحتات التميمي ـ وكان عثماني الهوى ـ ، فأعطاه سبعين ألفاً، فرجع إلى معاوية، فقال: ما ردّك يا أبا مُنازل؟

قال: فضحتني في بني تميم، أَمَا حسبي صحيح؟! أَوَلستُ ذا سنّ؟! أَوَلستُ مطاعاً في عشيرتي؟!

قال معاوية: بلى.

قال: فما بالك خَسَسْتَ بي دون القوم؟!

فقال: إنّي اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفّان ـ وكان عثمانياً ـ .

قال: وأنا فاشترِ منّي ديني.

فأمر له بتمام جائزة القوم، فمات قبل أن يقبضها[١٥٨].

وكما جاء في المصادر، فإنّه وعد مروان «بالأموال له ولأهل بيته»، وكذلك فعل مع غيره من وجوه الناس:

فلقد أعطى عبدَ اللّه بن عمر بن الخطّاب ١٠٠/٠٠٠ درهم، فقبل وسكت[١٥٩]...

وأعطى عبدَ الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ١٠٠/٠٠٠ درهم أيضاً، فردّها وقال: لا أبيع ديني بدنياي[١٦٠].

وأعطى يزيدُ بن معاوية المنذرَ بن الزبير بن العوّام ١٠٠/٠٠٠ درهم، فأخذها وقال للناس: «إنّ يزيد واللّه لقد أجازني بمئة ألف درهم، وإنّه لا يمنعني ما صنع إليَّ أنْ أُخبركم خبره وأصدقكم عنه، واللّه إنّه ليشرب الخمر، وإنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة»[١٦١].

---

(١٥٧) تاريخ دمشق ٤٠ / ٢٩٨، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٥٠ حوادث سنة ٥٦ هـ .

(١٥٨) انظر: تاريخ دمشق ١٠ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩، الكامل ٣ / ٣٢٢ في التاريخ، تاريخ الطبري ٣ / ٢١١ حوادث سنة ٥٠ هـ .

(١٥٩) فتح الباري ١٣ / ٨٧ ح ٧١١٤.

(١٦٠) انظر: البداية والنهاية ٨ / ٧٢ حوادث سنة ٥٨ هـ ، الإصابة ٤ / ٣٢٨ رقم ٥١٥٥، المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٤٢ ح ٦٠١٥.

(١٦١) تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٠ ـ ٣٥١ حوادث سنة ٦٢ هـ .

٤ ـ المكاتبة

وإذا كان أهل الشام مخالفين ويرشّحون عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وكان بنو أُميّة معارضين ويرشّحون سعيد بن عثمان بن عفّان... فلأنْ يكون بنو هاشم معارضين أَوْلى، فقد كلّف معاوية واليه على
المدينة أن يطلب منهم البيعة.

فكتب سعيد بن العاص إليه:

«أمّا بعد، فإنّك أمرتني أنْ أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وأنْ أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ، وإنّي أُخبرك أنّ الناس عن ذلك بطاء، لا سيّما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره...

فكتب معاوية إلى عبدالله بن العبّاس وإلى عبدالله بن الزبير وإلى عبدالله بن جعفر وإلى الإمام الحسين عليه السلام، كتباً، وأمر سعيد بن العاص أنْ يوصلها إليهم ويبعث بجواباتها»[١٦٢].

٥ ـ السفر إلى الحجاز والخديعة

ثمّ إنّه قد اضطرّ معاوية إلى السفر إلى الحجاز، فاجتمع بالأربعة الّذين كاتبهم، وتحدّث معهم، ولم يسفر ذلك عن نتيجة... فخرج في يوم من الأيّام ودخل المسجد ومعه رجاله من أهل الشام ويبلغون الألف، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، والإمام الحسين عليه السلام، وعبدالرحمن وابن الزبير وابن عمر جالسون عند المنبر، فخطب وقال:

«أيّها الناس! إنّا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنّهم قد زعموا
أنّ الحسين بن عليّ، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، لم يبايعوا يزيد; وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذاً سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا، وسمعوا وأجابوا وأطاعوا.

فضرب أهل الشام بأيديهم إلى سيوفهم فسلّوها ثمّ قالوا:

يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي تعظّمه من أمر هؤلاء الأربعة؟! إئذن لنا أن نضرب أعناقهم، فإنّا لا نرضى أن يبايعوا سرّاً، ولكنْ يبايعوا جهراً حتّى يسمع الناس أجمعون.

فقال معاوية: سبحان الله! ما أسرع الناس بالشرّ، وما أحلى بقاءهم عندهم، اتّقوا الله يا أهل الشام ولا تسرعوا إلى الفتنة، فإنّ القتل له مطالبة وقصاص، فإنّهم قد بايعوا وسلّموا، وارتضوني فرضيت عنهم.

فلمّا سئل الإمام عليه السلام عن ذلك قال: «لا والله ما بايعنا، ولكنّ معاوية خادعنا وكادنا...»[١٦٣].

---

(١٦٢) انظر: الإمامة والسياسة ١ / ١٩٩ و ٢٠٠.

(١٦٣) انظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٤ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨، الإمامة والسياسة ١ / ٢١٣، العقد الفريد ٣ / ٣٦٠، المنتظم ٤ / ١٠٤ ـ ١٠٥، البداية والنهاية ٨ / ٦٤ ـ ٦٥ حوادث سنة ٥٦ هـ ، تاريخ الخلفاء: ٢٣٦.

وروى الطبراني بسنده عن محمّد بن سيرين، قال: «لمّا بايع معاوية ليزيد حجَّ، فمرّ بالمدينة فخطب الناس، فقال: إنّا قد بايعنا

يزيد فبايعوا.

فقام الحسين بن عليّ فقال: أنا ـ واللّه ـ أحقّ بها منه، فإنّ أبي خير من أبيه، وجدّي خير من جدّه، وإن أُمّي خير من أُمّه، وأنا خير منه.

فقال معاوية: أمّا ما ذكرت أنّ أنّ جدّك خير من جدّه، فصدقت، رسول اللّه خير من أبي سفيان بن حرب، وأمّا ما ذكرت أنّ أُمّك خير من أُمّه، فصدقت، فاطمة بنت رسول اللّه خير من بنت مجدل، وأمّا ما ذكرت أنّ أباك خير من أبيه، فقد قارع أبوه أباك فقضى اللّه لأبيه على أبيك، وأمّا ما ذكرت أنّك خير منه، فلهو أربّ منك وأعقل، ما يسرّني به مثلك ألف»[١٦٤].

أقول:

فيه شهادة للقول بأنّ معاوية وبني أُميّة هم الأصل في مقالة الجبر...

ثمّ انظر كيف يزعم ـ بقلّة حياء ـ أفضليّة يزيد على الإمام الحسين عليه السلام!!

* * *

(١٦٤) المعجم الكبير ١٩ / ٣٥٦ ح ٨٣٣، وانظر: مجمع الزوائد ٥ / ١٩٨.

الفصل الرابع

شهادة الإمام الحسن

بسمّ معاوية

أمّا الإمام الحسن السبط عليه السلام... فلأنّ معاوية قد عاهده على رجوع الأمر إليه من بعده، حتّى إنّ الأحنف بن قيس أيضاً قد ذكّره بذلك[١٦٥]... فكان أن صمّم على القضاء عليه، فدسّ إليه السمّ على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس، في قضيّة مفصّلة اتّفق على روايتها رواة الفريقين...

تجد ذلك في سائر كتب أصحابنا، كالكافي والإرشاد ومناقب آل أبي طالب، وغيرها[١٦٦].

وقال ابن عبدالبرّ: «قال قتادة وأبو بكر ابن حفص: سمّ الحسن بن علي، سمّته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك...

قال: ذكر أبو زيد عمر بن شبّة وأبو بكر بن أبي خيثمة، قالا: حدّثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا أبو هلال، عن قتادة، قال: دخل الحسين على الحسن، فقال: يا أخي إنّي سُقيت السمَّ ثلاث مرار، لم أُسْقَ مِثْل هذه المرّة، إنّي لأضَعُ كَبدي.

فقال الحسين: مَنْ سقاك يا أخي؟

قال: ما سؤالك عن هذا؟! أَتريدُ أن تقاتلهم؟! أَكِلُهُم إلى اللّه.

فلمّا مات ورَد البريد بموته على معاوية، فقال: يا عجباً من الحسن، شرب شربةً من عسل بماء رومة، فقضى نحبه.

وأتى ابن عبّاس معاوية، فقال له: يا ابن عبّاس! احتسب الحسن، لا يحزنك اللّه ولا يسوؤك.

فقال: أمّا ما أبقاك اللّه لي يا أمير المؤمنين فلا يحزنني اللّه ولا يسوؤني.

قال: فأعطاه على كلمته ألف ألف وعروضاً وأشياء، وقال: خُذها واقْسِمْها على أهلك.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: «ودسّ معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد وإلى سعد بن أبي وقّاص سمّاً، فماتا منه في أيّام متقاربة، وكان الذي تولّى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية»[١٦٧].

وقال ابن أبي الحديد: «قال أبو الحسن المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوماً، وكانت سنّه سبعاً وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن وقال لها: إنْ

---

(١٦٥) فقد قال له: إنّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيّاً»; انظر: الإمامة والسياسة ١ / ١٩١.

(١٦٦) الكافي ١ / ٤٦٢ باب مولد الحسن عليه السلام ح ٣، الإرشاد ٢ / ١٥، مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٧ ـ ٤٨، كشف الغمّة ١ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥، الاحتجاج ٢ / ٧١ ـ ٧٣ ح ١٥٩ و ١٦٠.

وانظر من كتب الجمهور ـ مثلا ـ : المنتظم ٤ / ٤٨ ـ ٤٩، البداية والنهاية ٨ / ٣٥، تاريخ الخميس ٢ / ٢٩٣، العقد الفريد ٣ / ٣٥١.

(١٦٧) مقاتل الطالبيّين: ٦٠.

قتلتيه بالسمّ فلك مئة ألف وأُزوّجك يزيد ابني. فلمّا مات وفى لها بالمال ولم يزوّجها من يزيد قال: أخشى أن تصنع بابني كما صنعت بابن رسول اللّٰه»[١٦٨].

وقال البلاذري: «إنّ معاوية دسّ إلى جعدة بنت الأشعث ابن قيس امرأة الحسن، وأرغبها حتّى سمّته»[١٦٩].

وقال المسعودي: «وذُكر أنّ امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السمّ، وقد كان معاوية دسّ إليها: إنّك إن احتلت في قتل الحسن وجّهت إليك بمئة ألف درهم وزوّجتك من يزيد; فكان ذلك الذي بعثها على سمّه، فلمّا مات وفى لها معاوية بالمال وأرسل إليها: إنّا نحبّ حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»[١٧٠].

وقال ابن تيميّة ـ في مقام الدفاع عن معاوية ـ : «والحسن رضي اللّٰه عنه قد نقل عنه أنّه مات مسموماً، وهذا ممّا يمكن أنْ يعلم، فإنّ موت المسموم لا يخفى، لكن يقال: إنّ امرأته سمّته، ولا ريب أنّه مات بالمدينة ومعاوية بالشام، فغاية ما يظنّ الظانّ أنْ يقال: إنّ معاوية أرسل إليها وأمرها بذلك... فإنْ كان قد وقع شيء من ذلك فهو من باب قتال بعضهم بعضاً...»[١٧١].

وإذا كان ابن تيميّة يشكّك في الحقائق الواقعة، فإنّ بعض المتعصّبين قد صرّح بتكذيب ذلك، فقد قال ابن خلدون: «وما يُنقل من أنّ معاوية دسّ إليه السمّ مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك»[١٧٢].

هذا، وقد ذكروا أنّ معاوية لمّا أتاه خبر وفاة الإمام الحسن عليه السلام، أظهر فرحاً وسروراً، حتّى سجد...!

قالوا: «فلمّا أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتّى سجد، وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبداللّٰه بن عبّاس ـ وكان بالشام يومئذ ـ فدخل على معاوية، فلمّا جلس قال معاوية: يا ابن عبّاس، هلك الحسن بن عليّ.

فقال ابن عبّاس: نعم هلك، إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون، ترجيعاً مكرّراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أمَا واللّٰه ما سدّ جسدُه حفرتَك، ولا زاد نقصانُ أجله في عمرِك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أُصبنا به لقد أُصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول اللّٰه، فجبر اللّٰه مصيبته، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة...»[١٧٣].

* * *

(١٦٨) شرح نهج البلاغة ١٦ / ١١.

(١٦٩) أنساب الأشراف ٣ / ٢٩٥.

(١٧٠) مروج الذهب ٢ / ٤٢٧.

(١٧١) منهاج السُنّة ٤ / ٤٦٩ ـ ٤٧١.

(١٧٢) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٢٠.

(١٧٣) الإمامة والسياسة ١ / ١٩٦ ـ ١٩٧، مروج الذهب ٢ / ٤٣٠، العقد الفريد ٣ / ٣٥١، ربيع الأبرار ٤ / ١٨٦ ـ ١٨٧ و ٢٠٩.

الفصل الخامس

بين الإمام الحسين عليه السلام

ومعاوية

وهكذا... تمكّن معاوية من القضاء على كلّ من يحتمل أن يكون وجوده مزاحماً لولاية يزيد أو يكون معارضاً، وتمكّن من إكراه الناس على البيعة.

وقد نصّ العلماء ـ كالحافظ الذهبي ـ على أنّه قد أكره الناس على بيعة يزيد[١٧٤].

هذا، ولقد كان معاوية يقول: «لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي»[١٧٥].

ثمّ قال ليزيد: «يا بني! إنّي قد كفيتك الرحلة والرجال، ووطّأت لك الأشياء، وذلّلت لك الأعزّاء، وأخضعت لك أعناق العرب»[١٧٦].

وفي لفظ آخر: «يا بني! إنّي قد كفيتك الشدّ والترحال، ووطّأت لك الأُمور، وذلّلت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك

ما لم يجمعه أحد»[١٧٧].

وفي رواية ابن أعثم: «إنّي من أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، ودفعت حقّ عليّ بن أبي طالب، وحملت الوزر على ظهري»[١٧٨].

من الكتب بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية

وذكر ابن قتيبة ما كتب به معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام:

«أمّا بعد، فقد انتهت إليَّ منك أُمور، لم أكن أظنّك بها رغبةً عنها، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة مَن كان مثلك، في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتّق الله ولا تردنّ هذه الأُمّة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأُمّة محمّد (**وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ**)[١٧٩]»[١٨٠].

---

(١٧٤) تاريخ الإسلام ٢ / ٢٩٤ حوادث سنة ٦٠ هـ .

(١٧٥) الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٤ / ٢٤٩، نسب قريش: ١٢٧، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٥٦ رقم ٢٥.

(١٧٦) البداية والنهاية ٨ / ٩٣ حوادث سنة ٦٠ هـ .

(١٧٧) الكامل في التاريخ ٣ / ٣٦٨، وانظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٤ / ٣٥٤، نهاية الأرب ٢٠ / ٣٦٥.

(١٧٨) الفتوح ٤ / ٣٥٤.

(١٧٩) سورة الروم ٣٠: ٦٠.

(١٨٠) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠١.

قال: «وكتب إليه الحسين رضي الله عنه: أمّا بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي أُمور، لم تكن تظنّني بها رغبة بي عنها...»[١٨١].

فذكر الإمام عليه السلام جملةً من مساوئ معاوية ومخازيه وما ارتكبه من الظلم والقتل للأخيار، في كتاب طويل... جاء في آخره:

«واعلم، أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، واعلم، أنّ الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلاّ وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة»[١٨٢].

ومن كلام الإمام الحسين عليه السلام عن يزيد بن معاوية

وكان ممّا قاله الإمام عليه السلام ـ في جواب معاوية عندما ذكر يزيد وجعل يمدحه ويعدّد له الفضائل ـ بعد حمد الله والصلاة على رسوله:

«وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأُمّة محمّد، تريد أنْ توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد في ما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب الهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهنّ، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أنْ تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور وحنقاً في ظلم، حتّى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص...»[١٨٣].

* * *

(١٨١) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠٢.

(١٨٢) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(١٨٣) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

الفصل السادس

كتب أهل العراق

إلى الإمام الحسين عليه السلام

في حياة معاوية

وفي مثل هذه الظروف وعلى عهد معاوية! وردت على الإمام الحسين عليه السلام كتبٌ من الكوفة.

قال ابن كثير: «قالوا: لمّا بايع الناس معاوية ليزيد، كان حسين ممّن لم يبايع له، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كلّ ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم إلى محمّد بن الحنفيّة يطلبون إليه أن يخرج معهم، فأبى، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم، فقال له الحسين: إنّ القوم إنّما يريدون أنْ يأكلوا بنا ويستطيلوا بنا ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا...»[١٨٤].

وقد كتب إليهم عليه السلام كتاباً يأمرهم بالصبر، ويقول لهم ـ في ما رواه البلاذري وغيره ـ : «فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا... ما دام ابن هند حيّاً، فإن يُحدث اللّه به حدثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي»[١٨٥].

ريبة الإمام في الكتب وأصحابها

لكنّ الذي يلوح الناظر في كلماته وكتاباته عليه السلام هو الريب في تلك الكتب وأصحابها... فقد رأينا قوله لأخيه محمّد: «إنّ القوم إنّما يريدون أنْ يأكلوا بنا ويستطيلوا بنا...».

ومن العجيب: أنّ هذا الذي قاله عليه السلام لأخيه في المدينة وعلى عهد معاوية، قد سمعه في طريقه إلى العراق من بعض القادمين من الكوفة لمّا سأل عن أهلها، فقد أجاب الإمامَ بقوله: «أمّا الأشراف، فقد عظمت رشوتهم... وما كتبوا إليك إلاّ ليجعلوك سوقاً ومكسباً...»[١٨٦].

وما زال الإمام عليه السلام في ريب ممّا وصلته من الكتب وجاءه من الرسل، حتّى إنّه لمّا بعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، كتب إلى أهل الكوفة كتاباً يدلّ دلالة واضحةً على عدم وثوقه بهم وبالكتب التي أتته من قبلهم!

فقد كتب إليهم: «وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإنْ كَتبَ إليَّ بأنّه قد اجتمع رأي مَلَئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قَدمَتْ به رسلكم وقَرأتُ في كتبكم، أقدمُ عليكم وشيكاً إن شاء اللّه...»[١٨٧].

---

(١٨٤) البداية والنهاية ٨ / ١٢٩ حوادث سنة ٦٠ هـ ، وانظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٢ رقم ١٣٧٤، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ رقم ٤٨.

(١٨٥) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٦، الأخبار الطوال: ٢٢٢.

(١٨٦) انظر: البداية والنهاية ٨ / ١٣٩ حوادث سنة ٦١ هـ ، الحسين والسُنّة: ٥٨.

(١٨٧) الإرشاد ٢ / ٣٩، وانظر: بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣٤.

البابُ الثاني

موت معاوية

وبدء تطبيق مخطّطاته

ضدّ الإمام الحسين عليه السلام

في فصلين:

الفصل الأوّل

مواقف الولاة

من الإمام الحسين عليه السلام

وهكذا نجد أنّ معاوية كان في حيرة من أمره مع الإمام الحسين عليه السلام، فلا هو أهل للمساومة، ولا التهديدات ترعبه، وهو إنْ بقي بين أظهر الناس وفي عاصمة الإسلام ومدينة جدّه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، فلن يتمّ الأمر ليزيد...

من بنود الصلح أن لا يغتال الحسن أو الحسين

ومن جهة أُخرى، فقد تعهّد في بنود الصلح ـ كما تقدّم ـ على أن لا يصيب الحسن والحسين عليهما السلام بضرر أو أذىً ولا يمسّهما بسوء.

فهو وإنْ نكث العهد باغتيال الإمام الحسن عليه السلام، إلاّ أنّه قد أقدم على ذلك بواسطة زوجته ظنّاً منه أنّ ذلك سيبقى سرّاً لا يطّلع عليه أحدٌ، فجعل يخطّط للقضاء على الإمام الحسين عليه السلام على يد أهل العراق بالتنسيق مع الخوارج في الكوفة ومع أنصار الأُمويّين هناك، هذا من جهة، ومع ولاته في المدينة ومكّة والكوفة من جهة أُخرى...

وصيّة معاوية حول الحسين عليه السلام

ولذا نراه يكتب إلى مروان أن اترك حسيناً ما تركك ولم يظهر لك عداوته; وسيأتي نصّه الكامل.

ثمّ إنّه يوصي يزيد بأن لا يتعرّض للإمام عليه السلام، ويخبره بدعوة أهل الكوفة إيّاه وأنّهم سيكفونه أمره، في حين يوصيه بشدّة ويغلّظ عليه بأن يقطّع ابن الزبير إرباً إرباً إنْ ظفر به وتمكّن منه[١٨٨].

نعم، لقد مات معاوية في النصف من رجب سنة ستّين من الهجرة[١٨٩] وكان قد أوصى يزيد ـ في ما اتّفقت المصادر عليه ـ أنْ لا يمسّ الإمام عليه السلام بسوء، وأنّ الّذين قتلوا أباه وأخاه سيدعونه إلى العراق وهم الّذين سيقتلونه!

«أمّا الحسين بن عليّ، فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتّى يخرجوه، فإن فعل فظفرت به، فاصفح عنه...»[١٩٠].

وكان الوالي يومئذ على المدينة: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، بعد أنْ كان عليها مروان بن الحكم، الذي كان يكتب إلى معاوية في الإمام عليه السلام ويثيره ويهيّجه ضدّه، بل كانت هذه حالته ضدّ الإمام حتّى في إمارة الوليد، كما سنرى.

سعي الحكومة كان وراء خروج الإمام من المدينة

---

(١٨٨) انظر: تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٣.

(١٨٩) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٤، البداية والنهاية ٨ / ١١٥، أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٨.

(١٩٠) انظر: الأخبار الطوال: ٢٢٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢٦٠، المنتظم ٤ / ١٣٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٢ ـ ٢٣.

وبينما كانت الرسل والكتب تدعوه إلى الخروج إلى العراق، فقد كانت الحكومة تسعى وراء خروجه من المدينة إلى مكّة المكرّمة.

قال البلاذري: «وكان رجال من أهل العراق وأشراف أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين، يجلّونه ويعظّمونه ويذكرون فضله ويدعونه إلى أنفسهم ويقولون: إنّا لك عضد ويد; ليتّخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أنّ معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً.

فلمّا كثر اختلاف الناس إليه، أتى عمرُو بن عثمان بن عفّان مروانَ بن الحكم ـ وهو إذ ذاك عامل معاوية على المدينة ـ فقال له: قد كثر اختلاف الناس إلى حسين، ووالله إنّي لأرى أنّ لكم منه يوماً عصيباً.

فكتب مروان ذلك إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: بأن اترك حسيناً ما تركك ولم يُظهر عداوته ويُبدِ صفحته، واكمن عنه كمون الشرى، إن شاء الله، والسلام»[١٩١].

ثمّ اقترح مروان على معاوية أن يُبعد الإمام من المدينة إلى الشام، فقد ذكروا أنّه: «دعا معاوية مروانَ بن الحكم فقال له: أشِر عليَّ في الحسين.

قال: تخرجه معك إلى الشام، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه.

قال: أردتَ ـ والله ـ أنْ تستريح منه وتبتليني به، فإنْ صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره، وإنْ أسأتُ إليه كنتُ قد قطعتُ رحمه. فأقامه.

وبعث إلى سعيد بن العاص فقال له: يا أبا عثمان! أشِر عليَّ في الحسين.

قال: إنّك ـ والله ـ ما تخاف الحسين إلاّ على مَن بعدك، وإنّك لتخلّف له قرناً إنْ صارعه ليصرعنّه، وإن سابقه ليسبقنّه، فذر الحسين منبتَ النخلة، يشرب من الماء، ويصعد في الهواء، ولا يبلغ إلى السماء»[١٩٢].

نعم، كانت الخطّة أنْ يُترك الإمام عليه السلام ولا يؤذى; لأنّ أهل العراق غير تاركيه حتّى يخرجوه، ما لم يُثر ويظهر العداوة للحكومة، والإمام عليه السلام يعلن للناس إباءه عن البيعة، يصرّح بذلك لكلّ من يسأله، كقوله لأخيه محمّد بن الحنفية: «يا أخي! والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لَما بايعت يزيد بن معاوية أبداً»[١٩٣].

وقوله عليه السلام لمروان بن الحكم لمّا قال له: «إنّي آمرك ببيعة

يزيد، فإنّه خير لك في دينك ودنياك»، قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذْ قد بُليت الأُمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان»[١٩٤].

وفي هذه الظروف، نرى أنّ الكتب من الكوفة تترى، يدعونه ويطلبون منه القدوم إليهم، والإمام يقول: «لا أراهم إلاّ قاتليّ»[١٩٥].

---

(١٩١) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(١٩٢) العقد الفريد ٤ / ٨٢، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٨٩.

(١٩٣) الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٢٣.

(١٩٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٩.

وبدأ الحكّام يسعون وراء خروج الإمام من الحجاز...

مواقف الولاة من الإمام ومن نائبه في الكوفة

ومات معاوية والوالي على المدينة هو «الوليد بن عتبة بن أبي سفيان»، قال الذهبي: وكان معاوية يولّي على المدينة مرّةً مروان ومرّةً الوليد بن عتبة... فعزل قبيل موته مروان وولّى الوليد... وقد عرفنا باختصار موقف مروان من الإمام عليه السلام.

وأخبر يزيد ـ في أوّل خطبة له بعد موت معاوية ـ عن الحرب مع أهل العراق، وأنّه سينتصر عليهم بواسطة عبيدالله ابن زياد[١٩٦].

وكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة يأمره بأخذ البيعة من أهل المدينة وخاصّةً من الإمام عليه السلام، وجماعة، كعبد الله بن الزبير، وسيأتي الكلام على نصّ كتاب يزيد.

بين الوليد والإمام

لكنّ الوليد لم يستعمل الشدّة مع الإمام عليه السلام، فضلا على أن يقدِم على قتله، وإنّما بعث إليه وأخبره بوفاة معاوية، ودعاه إلى البيعة ليزيد، فقال له الإمام: نصبح وننظر; فلم يشدّد الوليد على الإمام[١٩٧]، بل قال له: «انصرف على اسم الله»[١٩٨].

هذا، وقد اختلفت روايات المؤرّخين لنصّ كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة، فمنهم من روى أنّه أمره بقتل الإمام، ومنهم من روى أنّه أمره بأخذ البيعة منه، بل منهم من روى أنّه أمره بالرفق معه...

إلاّ أنّ أحداً لم يتردّد في أنّ يزيد قد أمر ابن زياد بقتل الإمام عليه السلام، وأنْ يبعث إليه برأسه الشريف.

وسيأتي تفصيل ذلك كلّه في ما بعد...

قال الشيخ المفيد: «فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله

لا يمكّنك مثلها من نفسه أبداً.

فقال الوليد: الويح لغيرك يا مروان، إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أُحبُّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنّي قتلت حسيناً.

سبحان الله! أقتلُ حسيناً إنْ قال لا أُبايع؟! والله إنّي لأظنّ أنّ امرَأً يحاسَب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت في ما صنعت. يقول هذا وهو غير الحامد له على رأيه»[١٩٩].

---

(١٩٥) تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٦، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٦، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥ حوادث سنة ٦٠ هـ .

(١٩٦) الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٦ ـ ٩، مقتل الحسين ١ / ٢٦١.

(١٩٧) سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٣٤ رقم ١٣٩.

(١٩٨) انظر حوادث سنة ٦٠ هـ في: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٠، البداية والنهاية ٨ / ١١٨.

وقال محمّد بن أبي طالب الموسوي: «وأرسل الوليد إلى منزل الحسين عليه السلام لينظر أخَرجَ من المدينة أم لا؟ فلم يصبه في منزله فقال: الحمد للّه الذي خرج ولم يبتلني بدمه...»[٢٠٠].

هذا، وقد جاء في رواية البلاذري أنّ الوليد قد قال للإمام عليه السلام ـ في كلام بينهما ـ: «لو علمت ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا»[٢٠١].

وهذا الكلام جديرٌ بالتأمّل جدّاً.

أقول:

والذي نراه أنّ الوليد كان مأموراً بما فعل، وأنّ ما فعله كان تطبيقاً لِما أُمر به، لكنّ مروان كان يجهل الأمر، أو كان يريد غير ذلك.

وممّا يشهد لِما ذكرناه أُمور:

١ ـ إنّه لمّا خرج ابن الزبير وجّه الوليد في إثره حبيب بن ذكوان في ثلاثين فارساً، وقيل: ثمانين، فلم يقعوا له على أثر، وشغلوا يومهم ذلك كلّه بطلب ابن الزبير[٢٠٢] ليعمل بوصيّة معاوية; وأمّا الإمام، فلمّا علم الوليد بخروجه عليه السلام من المدينة المنوّرة قال: «الحمد للّه».

٢ ـ إنّه لو كان مأموراً بقتل الإمام لَما قال له لمّا أبى أن يبايع: «انصرف على اسم اللّه»; كما مرّ سابقاً عن الطبري وابن كثير[٢٠٣].

٣ ـ إنّ الكلام الذي دار بينه وبين مروان، يدلّ دلالة واضحة على كون مروان هو المصرّ على القتل إن لم يبايع الإمام.

٤ ـ إنّنا لم نجد أيّةَ عقوبة للوليد من يزيد... فلو كان أمره بقتل الإمام ولم يمتثل لعاقبه، ولا أقلّ من أن لا يولّيه شيئاً من المناصب; والحال أنّ يزيد قد ولاّه المدينة مرّتين، وأقام الموسم غير مرّة، آخرها سنة ٦٢، كما ذكر الذهبي[٢٠٤].

٥ ـ إنّ الوليد هو الذي صلّى على جنازة معاوية بن يزيد[٢٠٥].

٦ ـ أرادوه للخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى[٢٠٦].

والحاصل:

---

(١٩٩) الإرشاد ٢ / ٣٣ ـ ٣٤، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٧٨، البداية والنهاية ٨ / ١١٨.

(٢٠٠) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٢٨ ب ٣٧.

(٢٠١) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٩.

(٢٠٢) انظر: الأخبار الطوال: ٢٢٨، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٣، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٦٩، البداية والنهاية ٨ / ٩٣، المنتظم ٤ / ١٣٧.

(٢٠٣) تقدّم في الصفحة ١٦١ هـ ٢.

(٢٠٤) العبر ١ / ٥٢.

(٢٠٥) الإنباء بأنباء الأنبياء (تاريخ القضاعي): ٢١٠.

(٢٠٦) دول الإسلام: ٤١.

إنّ عزله عن المدينة لم يكن إلاّ لمصلحة خاصّة، وسيأتي نظيره في والي الكوفة، ولم يكن لتفريطه في هذا الأمر كما ذكر بعض المؤرّخين، اللّهمّ إلاّ أن يكون لتفريطه في أمر ابن الزبير الذي أوصى معاويةُ يزيدَ بأنْ يقطّعه إرباً إرباً إن قدر عليه[٢٠٧].

الإمام في مكّة المكرّمة

قال المفيد: فسار الحسين عليه السلام متوجّهاً إلى مكّة وهو يقرأ (**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكّبت عن الطريق كما فعل ابن الزبير، كيلا يلحقك الطلب؟ فقال: لا واللّه لا أُفارقه حتّى يقضي اللّه

ما هو قاض.

ولمّا دخل الحسين عليه السلام مكّة ـ وكان دخوله إيّاها يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان ـ دخلها وهو يقرأ (**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**)، ثمّ نزلها.

وأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها، قد لزم جانب البيت، وهو قائم يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسين عليه السلام في من يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كلّ يومين مرّةً، وهو عليه السلام أثقل خلق اللّه على ابن الزبير; لأنّه قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين في البلد، وأنّ الحسين أطوع في الناس منه وأجلّ.

هذا، وقد كان الوالي على مكّة: عمرو بن سعيد الأشدق، وكان هو الوالي على المدينة ـ أيضاً ـ بعد عزل الوليد.

وكتب يزيد إلى عبداللّه بن العبّاس كتاباً جاء فيه:

«أمّا بعد، فإنّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ اللّه ابن الزبير إلتويا ببيعتي ولحقا بمكّة مرصدين للفتنة، معرّضين أنفسهما للهلكة، فأمّا ابن الزبير فإنّه صريع الفنا وقتيل السيف غداً.

وأمّا الحسين، فقد أحببت الإعذار إليكم أهل البيت ممّا كان منه، وقد بلغني أنّ رجالا من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم

ويمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتّه، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد بلادك، فالقه فارده عن السعي في الفتنة، فإن قبل منك وأناب، فله عندي الأمان والكرامة الواسعة... أُجري عليه ما كان أبي يجريه...».

فكتب إليه ابن عبّاس في الجواب:

«أمّا بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكّة..

---

(٢٠٧) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٦٠، العقد الفريد ٣ / ٣٦٠، المنتظم ٤ / ١٣٧، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٣، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٦٩، البداية والنهاية ٨ / ٩٣.

فأمّا ابن الزبير، فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها في صدره، يوري علينا وري الزناد، لا فكّ اللّٰه أسيرها، فَارْأَ في أمره ما أنت راء.

وأمّا الحسين، فإنّه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه، سألته عن مقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة أساؤوا إليه، وعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم اللّٰه مستجيراً به، وسألقاه في ما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة في ما يجمع اللّٰه به الكلمة، ويطفئ به النائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأُمّة.

فاتّق اللّٰه في السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهراة، فكم من حافر لغيره حفراً

وقع فيه، وكم من مؤمّل أملا لم يؤت أمله، وخذ بحظّك من تلاوة القرآن، ونشر السُنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ ما اشتغلت به عن اللّٰه يضرّ ويفنى، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى. والسلام»[٢٠٨].

وكان الأشدق جبّاراً من جبابرة بني أُميّة، وقد تعرّض لابن الزبير في خطاب له فقال: «فواللّٰه لنغزونّه، ثمّ لئن دخل الكعبة لنحرقنّها عليه، على رغم أنف من رغم»[٢٠٩].

وهكذا كان... كما هو معلوم من التاريخ.

أمّا بالنسبة إلى الإمام، فقد ذكر أنّه جاء إليه وقال له: «ما أقدمك»؟!

قال: «عائذاً باللّٰه وبهذا البيت»[٢١٠].

ولم نجد في التواريخ المعتبرة شيئاً آخر من الأشدق ـ هذا الجبّار العنيد ـ ضدّ الإمام عليه السلام في مكّة المكرّمة.

كتب أهل الكوفة، والإمام يبعث مسلماً

وما زالت الكتب تصل إلى الإمام يدعونه إلى الكوفة..[٢١١].

هنالك دعا مسلمَ بن عقيل رضي اللّٰه عنه وأرسله إلى الكوفة، وأمره بتقوى اللّٰه وكتمان الأمر واللطف...

فأقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل في دار المختار بن أبي عبيد، وأقبلت الشيعة تختلف إليه وأكثروا حتّى عُلم مكانه...

---

(٢٠٨) تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٠ ـ ٢١١، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٠ ـ ٢٦١١، البداية والنهاية ٨ / ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢٠٩) تاريخ الإسلام ٢ / ٢٩٥.

(٢١٠) انظر عن كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة وما قاله لمسلم، ممّا يدلّ على عدم وثوقه بأجواء الكوفة:
تاريخ الطبري ٣ / ١٢١ ـ ١٢٢، المنتظم ٤ / ١٤٢، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٣ رقم ٤٨، أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٩ ـ ٣٧١، الأخبار الطوال: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، مقاتل الطالبيّين: ٩٩، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤، الاصابة ٢ / ٧٨، الفتوح ٥ / ٢٩ ـ ٣٨، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٦ ـ ٢٧، مروج الذهب ٣ / ٥٤.

(٢١١) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٤ ـ ٢٧٨، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٢، البداية والنهاية ٨ / ١٢١ ـ ١٢٢.

فبلغ النعمان بن بشير ذلك ـ وكان والياً على الكوفة من قِبَل معاوية فأقرّه يزيد عليها ـ فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فاتّقوا الله ـ عباد الله ـ ولا تُسارعوا إلى الفتنة والفُرقة، فإنّ فيها يهلك الرجال، وتُسفك الدماء، وتُغتصب الأموال، إنّي لا أُقاتل من لا يقاتلني، ولا آتي على مَن لم يأت عليَّ، ولا أُنبّه نائمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقَرف ولا الظنّة ولا التُّهمة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر.

أمَا إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، حليف بني أُميّة، فقال: إنّه لا يصلح ما ترى إلاّ الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه في ما بينك وبين عدوّك رأيُ المستضعفين.

فقال له النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحبُّ إليّ من أكون من الأعزّين في معصية الله. ثمّ نزل.

وخرج عبدالله بن مسلم فكتب إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، فإن يك لك في الكوفة حاجةٌ، فابعث إليها رجلا قويّاً، ينفّذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النّعمان بن بشير رجلٌ ضعيفٌ أو هو يتضعَّفُ.

ثمّ كتب إليه عمارة بن عُقبة بنحو من كتابه.

ثمّ كتب إليه عُمر بن سعد بن أبي وقّاص مثل ذلك[٢١٢].

(٢١٢) انظر عن موقف النعمان من مسلم بن عقيل وشكوى شيعة بني أُميّة منه:

تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠، تهذيب التهذيب ٢ / ٤٩ رقم ٣٦١٥، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠، الفتوح ٥ / ٣٩ ـ ٤٠، الأخبار الطوال: ٢٣٣، تهذيب الكمال ٦ / ٤٩٤ رقم ١٣٠٥، الإصابة ٢ / ٧٨ ـ ٧٩، المنتظم ٤ / ١٤٢، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٧، البداية والنهاية ٨ / ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٧، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧، وغيرها.

الفصل الثاني

تولية يزيدَ

ابنَ زياد على الكوفة

فلمّا وصلت الكتب إلى يزيد، دعا سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ إنّ حسيناً قد وجّه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني عن النعمان بن بشير ضعفٌ وقول سيّئ، فمن ترى أنْ أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد.

فقال له سرجون: أرأيت معاوية لو نُشر لك حيّاً، أما كنت آخذاً برأيه؟

قال: نعم.

قال: فأخرج سرجون عهد عبيدالله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضُمّ المِصرَين إلى عبيدالله بن زياد.

فقال له يزيد: أفعل، ابعثْ بعهد عبيدالله إليه[٢١٣].

ثمّ دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيدالله بن زياد معه:

أمّا بعد، فإنّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أنّ ابن عقيل بها، يجمع الجموع ويشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا، حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه. والسلام.

وسلّم إليه عهده على الكوفة[٢١٤].

ولمّا سمع مسلم بن عقيل رحمه الله بمجيء عبيدالله بن زياد الكوفةَ، ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هانئ بن عروة فدخلها، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستُّر واستخفاء من عبيدالله، وتواصَوا بالكتمان[٢١٥].

من هو النعمان بن بشير؟

ويبقى أن نعرف النعمان بن بشير؟ ومتى نصب على الكوفة؟ وهل كان ضعيفاً كما توهّم القوم؟ وهل غضب عليه يزيد؟

---

(٢١٣) تجد خبر عهد معاوية بتولية ابن زياد على الكوفة وإشارة سرجون بذلك في: أنساب الأشراف ٥ / ٤٠٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٠، الفتوح ٥ / ٤٠ ـ ٤١، العقد الفريد ٣ / ٣٦٤، مقتل الحسين ١ / ٢٨٧، البداية والنهاية ٨ / ١٢٢، الإصابة ٢ / ٧٩، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٤٩ رقم ٦١٥، الإمامة والسياسة ٢ / ٨، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٣٢، تاريخ دمشق ٣٧ / ٤٣٨، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٧، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٤ رقم ١٣٠٥.

(٢١٤) الإرشاد ٢ / ٤٢ ـ ٤٣.

(٢١٥) الإرشاد ٢ / ٤٥.

لقد كان الوالي قبله على الكوفة: عبدالله بن خالد، فعزله معاوية

وولّى النعمان بن بشير[٢١٦]. ثمّ لمّا ولّى يزيد عبيدَ الله بن زياد على الكوفة ـ إضافةً إلى البصرة ـ ارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام[٢١٧].

قال الذهبي: وكان النعمان بن بشير منقطعاً إلى معاوية.

وإنّه لمّا عُزل عن الكوفة ورجع إلى الشام ولي قضاء دمشق، ثمّ ولي إمرة حمص مدّةً[٢١٨]...

وكان النعمانُ أحدَ رسلِ يزيدَ إلى ابن الزبير[٢١٩].

وكان الرجل ـ كأبيه ـ من رجالات حركة النفاق[٢٢٠]...

ومن كلّ ذلك نفهم:

- أوّلا: إنّ لنصبه على الكوفة من قبل معاوية قبيل وفاته سرّاً...
- وثانياً: إنّ يزيد أقرّه عليها.
- وثالثاً: إنّ يزيد لم يغضب عليه لتهاونه ـ بحسب الظاهر ـ أمام تحرّكات مسلم بن عقيل وأصحابه، بل ولاّه الولايات، وكان من المقرّبين عنده حتّى اليوم الأخير.
- ورابعاً: إنّ دوره ومنزلته ومسؤوليّته كانت بحيث إنّه لم يُعْنَ باعتراضات عيون بني أُميّة وشيعة يزيد في الكوفة... لكنّهم كانوا لا يعلمون بالخطّة.

استشهاد مسلم وهاني بن عروة

ثمّ إنّ ابن زياد تمكّن من إلقاء القبض على هاني بن عروة ثمّ مسلم بن عقيل، فاستُشهدا على يديه، على التفصيل المذكور في كتب التاريخ[٢٢١].

ولمّا بلغ الإمام عليه السلام خبر مسلم وهاني ـ وهو في الطريق ـ ارتجّ الموضع بالبكاء والنياحة والعويل، قالوا: وتفرّق الناس عنه فلم يبق معه إلاّ قليل[٢٢٢].

---

(٢١٦) الأخبار الطوال: ٢٢٥.

(٢١٧) الأخبار الطوال: ٢٣٣.

(٢١٨) انظر: تاريخ دمشق ٦٢ / ١١١ رقم ٧٨٩٧، أخبار القضاة ـ لوكيع ـ ٣ / ٢٠١، الإصابة ٦ / ٤٤٠ رقم ٨٧٣٤، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٨ / ١٧٦ رقم ٢٧٥٧، الاستيعاب ٤ / ١٤٩٨ و ١٤٩٩ رقم ٢٦١٤.

(٢١٩) الأخبار الطوال: ٢٦٣.

(٢٢٠) فقد تقلّد هو المناصب الخطيرة لبني أُميّة.

أمّا أبوه فقد كان أحد رجالات أحداث السقيفة; انظر: المنتظم ٣ / ١٦، الكامل في التاريخ ٢ / ١٩٤، البداية والنهاية ٥ / ١٨٨.

(٢٢١) انظر: جمهرة أنساب العرب: ٤٠٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٥، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٩ و ٣٩١، البداية والنهاية ٨ / ١٢٣، مروج الذهب ٣ / ٥٩ ـ ٦٠.

(٢٢٢) انظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٣، بغية الطلب ٦ / ٢٦٢٢، البداية والنهاية ٨ / ١٣٥، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٧١، مثير الأحزان: ٤٥، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤.

فنظر عليه السلام إلى بني عقيل وقال: ما ترون، فقد قتل مسلم؟

قالوا: واللّه ما نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق.

فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء[٢٢٣].

وكتب ابن زياد بذلك إلى يزيد:

«أمّا بعد، فالحمد للّه الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤونة عدوّه، أُخبِر أميرَ المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المراديّ، وأنّي جعلت عليهما العيون ودسستُ إليهما الرجال وكدتهما حتّى استخرجتهما، وأمكن اللّه منهما، فقدّمتهما وضربتُ أعناقهما.

وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وورعاً، والسلام.

فكتبَ إليه يزيد:

أمّا بعد، فإنّك لم تَعْدُ أن كنت كما أُحبّ، عملت عمل الحازم، وصُلْتَ صولة الشجاع الرابط الجأشِ، وقد أغنيت وكفيت وصدّقت ظنّي بك ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسولَيْك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوصِ بهما خيراً.

وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترسْ، واحبس على الظنّة، واقتُل على التهمة، واكتب إليّ في ما يحدث من خبر إن شاء اللّه»[٢٢٤].

كتاب عمرو بالأمان

قالوا: ولمّا خرج الإمام عليه السلام من مكّة كتب عمرو بن سعيد مع أخيه يحيى في جند أرسلهم إليه: «إنّي أسأل اللّه أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يرديك، بلغني أنّك قد اعتزمت على الشخوص إلى العراق، فإنّي أُعيذك باللّه من الشقاق، فإنْ كنت خائفاً فأقبل إليَّ، فلك عندي الأمان والبرّ والصلة»[٢٢٥].

أقول:

فهو لم يتعرّض للإمام بسوء، بل كتب إليه يعطيه الأمان ويعده البرّ والصلة والإحسان!!

---

(٢٢٣) انظر: مروج الذهب ٣ / ٦١، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٣، مثير الأحزان: ٤٥.

(٢٢٤) الإرشاد ـ للشيخ المفيد ـ ٢ / ٦٥ ـ ٦٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٣، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٦٩ ـ ٧٠، الأخبار الطوال: ٢٤٢، وقعة الطفّ: ٧٧، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ف ١٠، مناقب آل أبي طالب ـ لابن شهر آشوب ـ ٤ / ١٠٢، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٥٩ ب ٣٧، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٣٤ رقم ١٣٧٤، أنساب الأشراف ٢ / ٣٤١ ـ ٣٤٢، تاريخ الإسلام ٢ / ٢٩٦، مروج الذهب ٣ / ٦٠، المنتظم ٤ / ١٤٥، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٨، البداية والنهاية ٨ / ١٢٦.

(٢٢٥) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٦ رقم ١٣٧٤، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢، بغية الطلب ٦ / ٢٦١٠، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩١ رقم ١٣٠٥، البداية والنهاية ٨ / ١٣١، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤١.

ثمّ إنّ يحيى ومن معه حاولوا الحيلولة دون خروجه، وتدافع الفريقان، وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فأرسل إليهم يأمرهم بالانصراف[٢٢٦].

ولكنّ عمرو بن سعيد الأشدق قد كتب في الحال إلى عبيدالله بن زياد:

«أمّا بعد، فقد توجّه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترقّ كما تسترقّ العبيد»[٢٢٧].

أقول:

فانظر ما معنى ذلك؟!

هذا، وقد جاء في بعض التواريخ أنّه قد خرج من مكّة مع الإمام عليه السلام نحو العراق ستّون شيخاً من أهل الكوفة[٢٢٨].

لكنْ مَن كان هؤلاء؟ وهل بقوا معه؟ وماذا كان مصيرهم؟

وكتب ابن عبّاس ليزيد: «وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناس اطّرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة»[٢٢٩].

ثمّ إنّه عليه السلام ما زال يخبر من معه بمقتله، وإنّ من يبقى معه منهم فإنّهم سيقتلون.

● فتارةً يشبّه نفسه بيحيى بن زكريّا ويقول: «إنّ من هوان الدنيا على الله تعالى أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل»[٢٣٠].

● وأُخرى: يخبرهم عن رؤيا رآها، فقال: «قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسيرون والمنايا تسير بكم إلى الجنّة; فقال له ابنه عليّ: يا أبة! أفلسنا على الحقّ؟! فقال: بلى يا بنيّ والذي إليه مرجع العباد. فقال له: يا أبة! إذن لا نبالي بالموت»[٢٣١].

ومرّةً أُخرى أخبرهم بذلك، «قالوا: وما ذاك يا أبا عبدالله؟!... قال:

رأيت كلاباً تنهشني، أشدّها علَيَّ كلب أبقع»[٢٣٢].

● وثالثةً: لمّا اعتذر بعض الناس من نصرته قال: «... فإنّه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا، فلم يُجب واعيتنا، كان حقّاً على الله أن يكبّه على منخريه في نار جهنّم»[٢٣٣].

---

(٢٢٦) انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٥، الأخبار الطوال: ٢٤٤، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٦، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١.

(٢٢٧) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٢٩ رقم ١٣٧٤، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٢ رقم ١٥٦٦.

(٢٢٨) تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٢ رقم ١٥٦٦.

(٢٢٩) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٣.

(٢٣٠) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٢.

(٢٣١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢٣٢) كامل الزيارات: ٧٥ ب ٢٣ ح ١٤.

(٢٣٣) انظر: رجال الكشّي ١ / ٣٣١ رقم ١٨١ ترجمة عمرو بن قيس المشرقي.

وجاء في كلام الإمام عند وصوله إلى كربلاء: «اللّهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله، قد أُخرجنا وأُزعجنا وطُردنا عن حرم جدّنا...»[٢٣٤].

وقال عليه السلام: «ها هنا واللّه محطّ ركابنا وسفك دمائنا، ها هنا مخطّ قبورنا، وها هنا واللّه سبي حريمنا، بهذا حدّثني جدّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم»[٢٣٥].

* * *

(٢٣٤) مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٣٧ ف ١١.

(٢٣٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٩، الأخبار الطوال: ٢٥٣.

الحلقة الثانية

في بابين

البابُ الأوّل

دور يزيد بن معاوية

في فصول:

الفصل الأوّل

في أنّ يزيد

أمر بقتل الإمام عليه السلام

قال ابن حجر الهيتمي المكّي، في كلام له عن يزيد: «قال أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعلماً بأنّه لم يقل ذلك إلاّ لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده...»[٢٣٦].

نعم... وقعت منه قضايا ثابتة توجب الحكم بكفره...

لقد ثبت أمره بقتل الإمام السبط الشهيد عليه السلام، والأدلّة المثبتة لذلك كثيرة، سنذكرها بشيء من التفصيل، وسيرى القارئ خلال أخبار ذلك طرفاً من القضايا المثبتة لكفره...

وهذه بعض تلك الأدلّة على ضوء ما ورد في الكتب الأصليّة المعتمدة:

١ ـ كتاب يزيد إلى الوليد والي المدينة

فلقد جاء في غير واحد من التواريخ أنّ يزيد قد أمر الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ـ وهو على المدينة ـ بقتل الإمام إنْ هو لم يبايع:

● **قال اليعقوبي، المتوفّى سنة ٢٩٢:** «وملك يزيد بن معاوية... وكان غائباً، فلمّا قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ـ وهو عامل المدينة ـ :

إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إليَّ برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير; والسلام»[٢٣٧].

● **وقال الطبري، المتوفّى سنة ٣١٠:** «ولم يكن ليزيد همّة حين وليَ إلاّ بيعة النفر الّذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد، حين دعا الناس إلى بيعته وأنّه وليّ عهده بعده، والفراغ من أمرهم... فكتب إلى الوليد في صحيفة كأنّها أُذن فأرة:

أمّا بعد، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتّى يبايعوا; والسلام»[٢٣٨].

● **وذكر ابن أعثم الكوفي، المتوفّى حدود سنة ٣١٤ نحوه.**

● **وكذا الخوارزمي، المتوفّى سنة ٥٦٨.**

---

(٢٣٦) المنح المكّيّة ـ شرح القصيدة الهمزية ـ .

وقد ذكر ابن الجوزي وسبطه وابن حجر أنّ أحمد بن حنبل ذكر في حقّ يزيد ما يزيد على اللعنة; انظر: الردّ على المتعصّب العنيد: ١٣، تذكرة الخواصّ: ٢٥٧، الصواعق المحرقة: ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢٣٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٤.

(٢٣٨) تاريخ الطبري ٣ / ٢٦٩.

● **وذكر ابن الجوزي، المتوفّى سنة ٥٩٧ مثله.**

هذا ما نقله هؤلاء...

● **لكنّ ابن سعد، المتوفّى سنة ٢٣٠** يروي ـ في ترجمة الإمام عليه السلام من طبقاته ـ أنّه «لمّا حُضِرَ معاوية، دعا يزيد بن معاوية فأوصاه بما أوصاه به، وقال: أُنظر حسين ابن عليّ ابن فاطمة بنت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، فإنّه أحبّ الناس إلى الناس، فصِل رحمه وارفق به، يصلح لك أمره، فإنْ يك منه شيء فإنّي أرجو أن يكفيكه اللّٰه بمن قتل أباه وخذل أخاه.

وتوفّي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستّين، وبايع الناس ليزيد، فكتب يزيد ـ مع عبداللّٰه بن عمرو بن أُويس العامري، عامر بن لؤي ـ إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة، أنِ ادعُ الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكنْ أوّل من تبدأ به الحسين بن عليّ، فإنّ أمير المؤمنين عهد إليّ في أمره بالرفق به واستصلاحه»[٢٣٩].

● **والبلاذري، لم يرو نصّ الكتاب** وإنّما قال: «كتب يزيد إلى عامله الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أخذ البيعة على الحسين وعبداللّٰه بن عمر وعبداللّٰه بن الزبير، فدافع الحسين بالبيعة، ثمّ شخصَ إلى مكّة»[٢٤٠].

● **وقال ابن عساكر، عن ابن سعد:** «فكتب يزيد ـ مع عبداللّٰه بن
عمرو... ـ أنِ ادعُ الناس; وذكر مثله.

● **وكذا روى الحافظ أبو الحجّاج المزّي مثله.**

● **وقال ابن الأثير الجزري:** «ولم يكن ليزيد همّة حين وليَ إلاّ بيعة النفر الّذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعته، فكتب إلى الوليد يخبره بموت معاوية وكتاباً آخر صغيراً فيه:

أمّا بعد، فخذ حسيناً وعبداللّٰه بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتّى يبايعوا; والسلام»[٢٤١].

● **وقال الذهبي:** «قالوا: ولمّا حُضِرَ معاوية دعا يزيد فأوصاه، وقال: انظر حسيناً فإنّه أحبّ الناس إلى الناس، فصِل رحمه وارفق به، فإنْ يك منه شيء فسيكفيك اللّٰه بمن قتل أباه وخذل أخاه.

ومات معاوية في نصف رجب، وبايع الناس يزيد، فكتب إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، أنِ ادعُ الناس وبايعهم، وابدأ بالوجوه، وارفق بالحسين، فبعث إلى الحسين وابن الزبير في الليل ودعاهما إلى بيعة يزيد، فقالا: نصبح وننظر في ما يعمل الناس; ووثبا فخرجا.

وقد كان الوليد أغلظ للحسين، فشتمه حسين وأخذ بعمامته
فنزعها، فقال الوليد: إنْ هجنا بهذا إلاّ أسداً; فقال له مروان أو غيره: أُقتله! قال: إنّ ذاك لدم مصون»[٢٤٢].

---

(٢٣٩) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ رقم ١٣٧٤.

(٢٤٠) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦٨.

(٢٤١) الكامل في التاريخ ٣ / ٣٧٧ حوادث سنة ٦٠ هـ ، وانظر: البداية والنهاية ٨ / ١١٨.

(٢٤٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٩٥ رقم ٤٨.

فهؤلاء لا يروون لا القتل ولا استعمال الشدّة، بل بالعكس، ينقلون الرفق بالإمام...

● **وأبو الفداء..** لا يروي شيئاً، لا القتل، ولا الشدّة، ولا الرفق... وإنّما جاء في تاريخه:

«أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبدالله بن الزبير وابن عمر بالبيعة»[٢٤٣].

وفي رواية أُخرى لابن عساكر عمّن حمل كتاب يزيد إلى الوليد:

«فلمّا قرأ كتاب يزيد بوفاة معاوية واستخلافه، جزع من موت معاوية جزعاً شديداً، فجعل يقوم على رجليه ثمّ يرمي بنفسه على فراشه; ثمّ بعث إلى مروان، فجاء وعليه قميص أبيض وملاءة مورّدة، فنعى له معاوية وأخبره بما كتب إليه يزيد، فترحّم مروان على معاوية وقال: ابعث إلى هؤلاء الرهط الساعة، فادعهم إلى البيعة، فإنْ بايعوا وإلاّ فاضرب أعناقهم.

قال: سبحان الله! أقتل الحسين بن عليّ وابن الزبير؟!

قال: هو ما أقول لك»[٢٤٤].

أقول:

فلماذا هذا الاختلاف والاضطراب في نقل كتاب يزيد إلى الوليد؟!

ثمّ إنّ يزيد بن معاوية عزل الوليد عن المدينة لمّا بلغه أنّ الإمام عليه السلام وابن الزبير غادراها ولم يبايعا...

قال ابن كثير: «عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه»[٢٤٥].

وقال ابن خلدون: «لمّا بلغ الخبر إلى يزيد ـ بصنيع الوليد ابن عتبة في أمر هؤلاء النفر ـ عزله عن المدينة، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق»[٢٤٦].

وكيف كان... فالنقل ـ في نصّ كتابه إلى الوليد ـ مختلفٌ... والذي أظنّه أن صنيع الوليد مع الإمام عليه السلام كان ضمن الخطّة المرسومة من معاوية كما تقدّم سابقاً... نعم، قد فرّط الوليد في أمر ابن الزبير; والله العالم.

٢ ـ كتاب يزيد إلى ابن زياد

أمّا أنّ يزيد أمر عبيدالله بن مرجانة بقتل الإمام عليه السلام، فقد جاء في **تاريخ اليعقوبي**، فقد قال:

«وأقبل الحسين من مكّة يريد العراق، وكان يزيد قد ولّى عبيدالله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان، وأيّامك من بين الأيّام، فإنْ قتلته وإلاّ رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أنْ يفوتك»[٢٤٧].

---

(٢٤٣) المختصر في أخبار البشر ١ / ١٨٩.

(٢٤٤) انظر: تاريخ دمشق ١٩ / ١٧ رقم ٢٢٥٣، مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٣٨ رقم ١٠، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٧ حوادث سنة ٦٠ هـ.

(٢٤٥) البداية والنهاية ٨ / ١١٩ حوادث سنة ٦٠ هـ.

(٢٤٦) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٥.

(٢٤٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٥.

● **ورواه البلاذري** بلفظ: «بلغني مسير حسين إلى الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما يعتبد العبيد»[٢٤٨].

● **ورواه الطبراني:** «خرج الحسين بن عليّ رضي اللّٰه عنهما إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد بن معاوية، فكتب يزيد ابن معاوية إلى عبيداللّٰه بن زياد وهو واليه على العراق: إنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما يعتبد العبيد.

فقتله عبيداللّٰه بن زياد، وبعث برأسه إليه، فلمّا وضع بين يديه تمثّل بقول الحصين بن الحُمَام[٢٤٩]:

نفلّق هاماً من رجال أحبّة *** إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما»[٢٥٠]

● **وقال ابن عساكر:** «... وبلغ يزيد خروجه، فكتب إلى عبيداللّٰه بن زياد، وهو عامله على العراق، يأمره بمحاربته وحمله إليه إنْ ظفر به; فوجّه اللعينُ عبيدُ اللّٰه بن زياد الجيشَ إليه مع عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وعدل الحسين إلى كربلاء، فلقيه عمر بن سعد هناك، فاقتتلوا، فقتل الحسين رضوان اللّٰه عليه ورحمته وبركاته، ولعنة اللّٰه على قاتله...

... خرج الحسين بن عليّ إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد، فكتب يزيد إلى ابن زياد... فقتله ابن زياد، وبعث برأسه إليه»[٢٥١].

● **ورواه الهيثمي** عن الطبراني، ووثّق رجاله[٢٥٢].

● **وقال الذهبي، المتوفّى سنة ٧٤٨:** «خرج الحسين، فكتب يزيد إلى ابن زياد نائبه: إنّ حسيناً صائر إلى الكوفة، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وأنت من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً; فقتله ابن زياد، وبعث برأسه إليه»[٢٥٣].

● **وقال السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١:** «وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكّة إلى العراق في عشرة ذي الحجّة، ومعه طائفة من آل بيته رجالا ونساءً وصبياناً. فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيداللّٰه بن زياد بقتاله، فوجّه إليه جيشاً أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد ابن أبي وقّاص...»[٢٥٤].

---

(٢٤٨) أنساب الأشراف ٣ / ٣٧١.

(٢٤٩) هو: أبو مَعِيّة الحصين بن حُمَام بن ربيعة المرّي الذبياني، كان رئيساً وفياً، شاعراً، فارساً، ياقب مانع الضيم، وكان من الشعراء المقلّين في الجاهلية، وهو ممّن نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية، توفّي قبل ظهور الإسلام، وقيل: بل أدرك الإسلام.

انظر: الشعر والشعراء ٢ / ٦٤٨ رقم ١٢٨، الأغاني ١٤ / ١٠، الاستيعاب ١ / ٣٥٤ رقم ٥٢٠، الإصابة ٢ / ٨٤ رقم ١٧٣٥.

(٢٥٠) المعجم الكبير ٣ / ١١٥ ـ ١١٦ ح ٢٨٤٦.

(٢٥١) تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٢٥٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٣.

(٢٥٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٥ رقم ٤٨.

(٢٥٤) تاريخ الخلفاء: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

هذا، وسيأتي كلام جماعة آخرين من الأئمّة الأعلام، الصريح في أنّ يزيد هو قاتل الحسين عليه السلام، وأنّه يُلعن بلا كلام.

٣ ـ كتاب ابن عبّاس إلى يزيد

«وقال شقيق بن سلمة[٢٥٥]: لمّا قُتل الحسين ثار عبدُ اللّٰه بن الزبير،

فدعا ابن عبّاس إلى بيعته فامتنع، وظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسّك منه ببيعته، فكتب إليه:

أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، وأنّك اعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا، فجزاك اللّٰه من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنْسَ من الأشياء فلستُ بناس برّك وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممّن سحرهم ابن الزبير بلسانه فأعلِمهم بحاله، فإنّهم منك أسمع الناس، ولك أطوع منهم للمحلّ.

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد جاءني كتابك، فأمّا تركي بيعة ابن الزبير فواللّٰه ما أرجو بذلك برّك ولا حمدك، ولكنّ اللّٰهَ بالذي أنوي عليم.

وزعمت أنّك لست بناس برّي، فاحبس أيّها الإنسان برّك عنّي، فإنّي حابس عنك برّي.

وسألت أن أُحبّب الناس إليك وأُبغّضهم وأُخذّلهم لابن الزبير، فلا، ولا سرور ولا كرامة، كيف؟! وقد قتلت حسيناً وفتيان عبدالمطّلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام! غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد

مرمّلين بالدماء، مسلوبين بالعراء، مقتولين بالظماء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفي عليهم الرياح، وينشئ بهم عرج البطاح، حتّى أتاح اللّٰه بقوم لم يشركوا في دمائهم كفّنوهم وأجنّوهم، وبي وبهم لو عززتَ وجلست مجلسك الذي جلست..

فما أنسَ من الأشياء فلستُ بناس اطّرادك حسيناً من حرم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم إلى حرم اللّٰه، وتسييرك الخيول إليه، فما زلتَ بذلك حتّى أشخصته إلى العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فنزلَتْ به خيلُك عداوةً منك للّٰه ولرسوله ولأهل بيته الّذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فطلب إليكم الموادعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، وتعاونتم عليه كأنّكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر.

فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودّي، وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، ولا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم، فلنظفرنّ بك يوماً؛ والسلام»[٢٥٦].

---

(٢٥٥) هو: شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وله مئة سنة، من رجال الكتب الستّة. قاله الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ١ / ٤٢١ رقم ٢٨٢٦، وانظر: تحرير تقريب التهذيب ٢ / ١١٩ رقم ٢٨١٦.

(٢٥٦) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧ حوادث سنة ٦٤ هـ ، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦١ ـ ١٦٤.

٤ ـ خطبة معاوية بن يزيد

وهذا ولده ووليّ عهده معاوية، الذي وصف بالشابّ الصالح... يصرّح بأنّ قاتل الحسين عليه السلام هو أبوه، وقد جعل تصريحه بذلك من آثار صلاحه.

● **قال ابن حجر المكّي:** «لم يخرج إلى الناس، ولا صلّى بهم، ولا أدخل نفسه في شيء من الأُمور، وكانت مدّة خلافته أربعين يوماً...

ومن صلاحه الظاهر: أنّه لمّا ولي صعد المنبر فقال: إنّ هذه الخلافة حبل اللّه، وإنّ جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه عليّ بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون، حتّى أتته منيّته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه.

ثمّ قلّد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فقصف عمره، وانبتر عقبه، وصار في قبره رهيناً بذنوبه.

ثمّ بكى وقال: إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وأباح الخمر، وخرّب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلّد مرارتها، فشأنكم أمركم.

واللّه لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظّاً، ولئن كانت شرّاً فكفى ذرّيّة أبي سفيان ما أصابوا منها.

ثمّ تغيّب في منزله حتّى مات بعد أربعين يوماً على ما مرّ، فرحمه اللّه أنصف من أبيه، وعرف الأمر لأهله»[٢٥٧].

٥ ـ أمرُه ابنَ زياد بقتل مسلم بن عقيل

● **قال البلاذري:** «فكتب يزيد إلى عبيداللّه بن زياد... بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة، وبعث بكتابه في ذلك مع مسلم بن عمرو الباهلي ـ أبي قتيبة ابن مسلم ـ وأمر عبيداللّه بطلب ابن عقيل ونفيه إذا ظفر به أو قتله، وأنْ يتيقّظ في أمر الحسين بن عليّ ويكون على استعداد له»[٢٥٨].

● **وقال الطبري** أنّه كتب إليه مع مسلم المذكور: «أمّا بعد، فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروننني أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين، فَسِرْ حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه»[٢٥٩].

● **وقال ابن الجوزي:** «... فقام رجل ممّن يهوى يزيد إلى

النعمان بن بشير فقال له: إنّك ضعيف، قد فسد البلد; فقال له النعمان: أكون ضعيفاً في طاعة اللّه أحبّ إليّ من أن أكون قويّاً في معصية اللّه.

فكتب بقوله إلى يزيد، فولّى الكوفة عبيداللّه بن زياد إضافة إلى البصرة، وأمره أن يقتل مسلم بن عقيل...»[٢٦٠].

---

(٢٥٧) الصواعق المحرقة: ٣٣٦.

(٢٥٨) أنساب الأشراف ٢ / ٣٣٥.

(٢٥٩) تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٠.

٦ ـ سروره بمقتل مسلم بن عقيل

● **قال البلاذري:** «ولمّا كتب ابن زياد إلى يزيد بقتل مسلم، وبعث إليه برأسه ورأس هانئ بن عروة ورأس ابن صلخب وما فعل بهم، كتب إليه يزيد:

إنّك لم تعدُ أن كنت كما أُحبّ، عملت عمل الحازم، وصُلت صولة الشجاع، وحقّقت ظنّي بك.

وقد بلغني أنّ حسيناً توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح، وأَذْكِ العيون، واحترس كلّ الاحتراس، فاحبس على الظِنّة، وخذ بالتهمة، غير أنْ لا تقاتل إلاّ من قاتلك، واكتب إليَّ في كلّ يوم بما يحدث من خبر إن شاء الله»[٢٦١].

٧ ـ سروره بمقتل الإمام

وقال غير واحد من الأئمّة الحفّاظ: إنّ يزيد قد سُرّ بقتل الإمام عليه السلام وأصحابه..

● **قال المسعودي:** «جلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربةً تروّي مشاشي *** ثمّ مِل فاسقِ مثلها ابن زيادِ

صاحب السرّ والأمانة عندي *** ولتسديد مغنمي وجهادي

ثمّ أمر المغنّين فغنّوا به»[٢٦٢].

● **وقال الطبري:** «حدّثني أبو عبيدة معمر بن المثنّى، أنّ يونس بن حبيب الجرمي حدّثه، قال: لمّا قَتل عبيدُ الله بن زياد الحسينَ بن عليّ عليه السلام وبني أبيه، بعث برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسُرّ بقتلهم أوّلا، وحسنت بذلك منزلة عبيدالله عنده...»[٢٦٣].

● **وقال ابن الأثير:** «وقيل: لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، ووصله، وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلاّ يسيراً...»[٢٦٤].

● **وروي الذهبي:** بإسناد له ـ نصّ على قوّته ـ: «دخل رجل على يزيد فقال: أبشر! فقد أمكنك الله من الحسين...»[٢٦٥].

● **وقال السيوطي:** «ولمّا قُتل الحسين وبنو أبيه، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسُرّ بقتلهم أوّلا...»[٢٦٦].

---

(٢٦٠) المنتظم ٤ / ١٤٢، وانظر: الفتوح ٥ / ٣٩ ـ ٤٠، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٤٩ رقم ٦١٥، تهذيب الكمال ٤ / ٤٩٤ رقم ١٣٠٥، الأخبار الطوال: ٢٣١، السيرة النبويّة ـ لابن حبّان ـ: ٥٥٦، وغيرها.

(٢٦١) تقدّمت مصادر ذلك في الصفحة ١٧٨ هـ ١.

(٢٦٢) مروج الذهب ٣ / ٦٧.

(٢٦٣) تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٥ حوادث سنة ٦٤ هـ.

(٢٦٤) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٩.

(٢٦٥) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٩ رقم ٤٨.

(٢٦٦) تاريخ الخلفاء: ٢٤٨.

٨ ـ كلام الحصين بن نمير مع يزيد

● **قال أبو إسحاق الإسفرائني:** إنّ يزيد قال: «فلعن اللّه من قتله، إنّما قتله عبيداللّه بن زياد عاملي على البصرة».

قال أبو إسحاق: ثمّ أمر بإحضار من أتى برأس الحسين ومن معه، ليسألهم كيف كان قتله، فحضروا بين يديه، فقال لابن ربعي: ويلك! أنا أمرتك بقتل الحسين؟!

فقال: لا، لعن اللّه قاتله.

ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل السؤال إلى الحصين بن نمير، فقال مقالتهم، ثمّ قال: أتريد أن أخبرك بمن قتله؟!

فقال: نعم.

فقال: أعطني الأمان.

فقال: لك الأمان.

فقال: إعلم أيّها الأمير، إنّ الذي عقد الرايات، ووضع الأموال، وجيّش الجيوش، وأرسل الكتب، وأوعد ووعد، هو الذي قتله!

فقال: من فعل ذلك؟!

فقال: أنت!

فغضب منه ودخل منزله، ووضع الطشت الذي فيه رأس الحسين بين يديه، وجعل يبكي ويلطم على وجهه ويقول: ما لي وللحسين؟!

قالت هند زوجة يزيد: لمّا أخذت مضجعي تلك الليلة رأيت في منامي كأنّ أبواب السماء قد فتحت...»[٢٦٧].

٩ ـ إقرار ابن زياد

وقد جاء في بعض المصادر المعتبرة، أنّ يزيد بن معاوية قد خيّر ابن زياد بين قتل الإمام عليه السلام وقتله، فاختار قتل الإمام عليه السلام..

قال ابن الأثير: «أمّا قتلي الحسين، فإنّه أشار علَيَّ يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله...»[٢٦٨].

وفي كتاب له إلى الإمام عليه السلام:

«أمّا بعد، يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أنْ لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخبز [الخمير] أو أُلحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية; والسلام»[٢٦٩].

١٠ ـ حمله الرؤوس والعيال إلى الشام

---

(٢٦٧) نور العين في مشهد الحسين ـ للأسفرائيني ـ : ٧٠.

(٢٦٨) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٧٤ حوادث سنة ٦٤ هـ ، وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٣٧٤.

(٢٦٩) انظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ٩٥، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٤٠، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٣ ب ٣٧.

ومن الأدلّة المثبتة لأمره بقتل الإمام عليه السلام ورضاه بذلك: أنّه أمر ابن زياد بإرسال رأس الإمام وسائر الرؤوس الشريفة وأهل بيته عليهم السلام إليه، وكذا ما صدر منه قولا وفعلا في تلك الأيّام، ممّا يصلح كلّ واحد من ذلك لأن يكون دليلا مستقلاً على وقوع تلك الكارثة بأمره، وعلى إلحاده وكفره.

وذلك ما سنعرضه ببعض التفصيل.

الفصل الثاني

في أنّ يزيد

أمر بحمل رأس الإمام

ورؤوس الشهداء وسبي العيال

إلى الشام

يقول ابن تيميّة:

«ولم يسب له حريماً أصلا»[٢٧٠]!!

«فما يُعرف في الإسلام أنّ المسلمين سبوا امرأةً يَعرفون أنّها هاشميّة، ولا سُبي عيال الحسين...»[٢٧١]!!

«ولا طيف برأس الحسين»[٢٧٢]!!

حمل الرؤوس إلى الشام

● **وقد روى البلاذري:** «قالوا، ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة، وجعل يُدارُ به فيها; ثمّ دعا زحر بن قيس الجعفي فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية; وكان مع زحر: أبو بردة...»[٢٧٣].

● **وروى ابن سعد،** بإسناده عن الشعبي: «رأس الحسين أوّل رأس حمل في الإسلام»[٢٧٤].

● **وقال ابن كثير** ـ وهو تلميذ ابن تيميّة ـ : «ثمّ أمر [ابن زياد] برأس الحسين، فنصب بالكوفة وطيف به في أزقّتها، ثمّ سيّره مع زحر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام، وكان مع زحر جماعة من الفرسان، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي.

فخرجوا حتّى قدموا بالرؤوس كلّها على يزيد بن معاوية»[٢٧٥].

حمل الرؤوس والعيال كان بأمر من يزيد

● **روى الطبري:** «وجاء كتاب بأن سرّح بالأُسارى إليّ; قال: فدعا عبيدالله بن زياد محفّز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية.

قال: فخرجوا حتّى قدموا على يزيد، فقام محفّز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم.

فقال يزيد: ما ولدت أُمّ محفّز ألأم وأحمق، ولكنّه قاطع ظالم.

قال: فلمّا نظر يزيد إلى رأس الحسين قال:

---

(٢٧٠) منهاج السُنّة ٤ / ٤٧٢، وانظر: رأس الحسين ـ لابن تيميّة ـ : ٢٠٨.

(٢٧١) منهاج السُنّة ٤ / ٥٥٩.

(٢٧٢) منهاج السُنّة ٤ / ٥٥٩، وانظر: رأس الحسين ـ لابن تيميّة ـ : ٢٠٧.

(٢٧٣) أنساب الأشراف ٣ / ٤١٥.

(٢٧٤) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٤٦ رقم ١٣٧٤.

(٢٧٥) البداية والنهاية ٨ / ١٥٣ حوادث سنة ٦١ هـ .

يفلّقن هاماً من رجال أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما»[٢٧٦]

● **وروى ابن سعد:** «قدم رسول من قبل يزيد بن معاوية يأمر عبيدالله أنْ يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من ولده وأهل بيته ونسائه، فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف درهم فتجهّزوا بها»[٢٧٧].

● **وقال ابن الجوزي:** «وجاء رسول من قبل يزيد، فأمر عبيدالله بن زياد أنْ يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من أهله»[٢٧٨].

شعره عندما تطلّع إلى السبايا والرؤوس

● **قال الآلوسي:** «وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات: إنّ السبي لمّا ورد من العراق على يزيد، خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرّيّة عليّ والحسين رضي الله تعالى عنهما، والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنيّة جيرون، فلمّا رآهم نعب غراب، فأنشأ يقول:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرفت *** تلك الرؤوس على شفا جيرونِ

نعب الغراب فقلتُ: قل أو لا تقل *** فلقد قضيت من النبيّ ديوني

(قال الآلوسي): يعني إنّه قتل بمن قتله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر، كجدّه عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما; وهذا كفر صريح، فإذا صحّ عنه فقد كفر به.

ومثله تمثّله بقول عبدالله بن الزبعرى قبل إسلامه:

ليت أشياخي...»[٢٧٩].

وصول رأس الإمام إلى يزيد

وقد سُرّ يزيد بقتل الإمام ووصول رأسه الشريف إليه كما تقدّم.

ثمّ روى **ابن سعد**، قال: «وقدم برأس الحسين محفّز بن ثعلبة العائذي ـ عائذة قريش ـ على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحمق الناس وألأمهم.

فقال يزيد: ما ولدت أُمّ محفّز أحمق وألأم، لكنّ الرجل لم يقرأ[٢٨٠]كتاب الله (**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء**

وتُذِلُّ مَن تَشَاء)[٢٨١].

---

(٢٧٦) تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٠.

(٢٧٧) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٤٧.

(٢٧٨) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٥.

(٢٧٩) روح المعاني ٢٦ / ١٠٩ وسيأتي كلامه تماماً، وانظر: تاريخ ابن الوردي ١ / ١٦٤.

(٢٨٠) جاءت العبارة هنا: «لكنّ الرجل لم يقرأ»..

وفي تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٠: «لكنّه أُتي من قبل فقهه، ولم يقرأ...»..

ثمّ قال بالخيزرانة بين شفتَي الحسين، وأنشأ يقول:

يفلّقن هاماً من رجال أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

والشعر لحصين بن الحُمَام المرّي.

فقال له رجل من الأنصار ـ حضره ـ : إرفع قضيبك هذا! فإنّي رأيت رسول اللّٰه يقبّل الموضع الذي وضعته عليه.

قال: أخبرنا كثير بن هشام، قال: حدّثنا جعفر بن برقان، قال: حدّثنا يزيد بن أبي زياد، قال: لمّا أُتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن عليّ، جعل ينكت بمخصرة معه سِنَّه ويقول: ما كنت أظنّ أبا عبداللّٰه يبلغ هذا السنّ.

قال: وإذا لحيته ورأسه قد نصل من الخضاب الأسود»[٢٨٢].

وروى **الطبراني** تمثّله بالشعر المذكور، وقد تقدّمت روايته[٢٨٣].

وقال **البلاذري:** «حدّثني عمرو الناقد وعمرو بن شبّة، قالا: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن عمّه فضيل بن الزبير; وعن أبي عمر البزّار، عن محمّد بن عمرو بن الحسن، قال:

لمّا وضع رأس الحسين بن عليّ بين يدي يزيد قال متمثّلا:

يفلّقن هاماً من رجال أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما»[٢٨٤]

قال: «قالوا: وجعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه»[٢٨٥].

وروى **ابن الجوزي**: «فلمّا وصلت الرؤوس إلى يزيد جلس، ودعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثمّ وضع الرأس بين يديه وجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

يفلّقن هاماً من رجال أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما»[٢٨٦]

وقد روى ذلك بعدّة أسانيد...

ثمّ روى بإسناده عن الليث، عن مجاهد، قال: «جيء برأس الحسين بن عليّ، فوضع بين يدي يزيد بن معاوية فتمثّل هذين البيتين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا *** جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً *** ثمّ قالوا لي بغيب لا تشل

وفي البداية والنهاية ٨ / ١٥٦: «ولكنّه إنّما أُتي من قلّة فقهه، لم يقرأ...»..

وفي سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٥: «لكنّ الرجل لم يتدبّر كلام اللّٰه»..

أقول: كأنّهم يريدون تهذيب العبارة!!

(٢٨١) سورة آل عمران ٣: ٢٦.

(٢٨٢) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٢٨٣) تقدّمت في الصفحة ١٩٦.

(٢٨٤) أنساب الأشراف ٣ / ٤١٥ ـ ٤١٦.

(٢٨٥) أنساب الأشراف ٣ / ٤١٦.

(٢٨٦) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٥.

قال مجاهد: نافق فيها. ثمّ والله ما بقي في عسكره أحد إلاّ تركه. أي عابه وذمّه»[٢٨٧].

ورواه **ابن كثير ـ** ولم يطعن في سنده، إلاّ أنّه قال في محمّد بن حميد الرازي: «هو شيعي»، وذكر بيتين بعدهما:

حين حكت بفناء بركها *** واستحرّ القتل في عبدالأسل

قد قتلنا الضعفَ من أشرافكم *** وعدلنا ميلَ بدر فاعتدل»[٢٨٨]

أمّا الذهبي، فقد أسقط من الأخبار كلّ الأشعار[٢٨٩]!!

لكنّ الأبيات في تاريخ الطبري ـ في كتاب المعتضد العبّاسي ـ خمسة، وخامسها الذي لم يذكروه:

ولعت هاشم بالملك فلا *** خبر جاء ولا وحي نزل[٢٩٠]

وقال ابن أعثم الكوفي: إنّ يزيد زاد من نفسه:

لستُ من عتبة إنْ لم أنتقم *** من بني أحمد ما كان فعل[٢٩١]

دخولهم على يزيد موثَّقين بالحبال

● **قال ابن سعد:** «ثمّ أُتي يزيدُ بن معاوية بثَقَل الحسين ومن بقي من أهله ونسائه، فأُدخلوا عليه قد قرنوا في الحبال، فوقّفوا بين يديه»[٢٩٢].

● **وقال ابن الجوزي:** «ثمّ دعا يزيد بعليّ بن الحسين والصبيان والنساء، وقد أُوثقوا بالحبال، فأُدخلوا عليه...»[٢٩٣].

● **وقال الذهبي:** «قال يحيى بن بكير: حدّثني الليث بن سعد، قال: أبى الحسين أن يُستأسر، فقاتلوه فقُتل، وقُتل ابنه وأصحابه بالطفّ، وانطلق ببنيه: عليّ وفاطمة وسكينة إلى عبيدالله بن زياد، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فجعل سكينة خلف سريره لئلاّ ترى رأس أبيها، وعليّ بن الحسين في غلّ، فضرب يزيد على ثنيّتي الحسين رضي الله عنه وقال:

نفلّق هاماً من أُناس أعزّة *** علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال عليٌّ: (**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَة فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَاب مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**)[٢٩٤]، فثقل على يزيد أن تمثَّل ببيت وتلا عليٌّ آية، فقال: (**فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِير**)[٢٩٥]، فقال: أمَا والله لو رآنا رسول الله مغلولين لأحبّ أنْ يحلّنا من الغلّ. قال: صدقت، حلّوهم...»[٢٩٦].

---

(٢٨٧) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢٨٨) البداية والنهاية ٨ / ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢٨٩) انظر: سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٩.

(٢٩٠) تاريخ الطبري ٥ / ٦٢٣.

(٢٩١) الفتوح ٥ / ١٥١.

(٢٩٢) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٤٨.

(٢٩٣) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٩.

(٢٩٤) سورة الحديد ٥٧: ٢٢.

(٢٩٥) سورة الشورى ٤٢: ٣٠.

● **وقال الطبري:** «ولمّا جلس يزيد بن معاوية، دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأُدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعليّ: يا عليّ! أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

قال: فقال عليٌّ: (**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَة فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَاب مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**).

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه.

قال: فما درى خالد ما يردّ عليه.

فقال له يزيد: قل: (**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِير**)، ثمّ سكت عنه.

قال: ثمّ دعا بالنساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه، فرأى هيئةً قبيحةً، فقال: قبّح الله ابن مرجانة، لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا.

قال أبو مخنف، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت عليّ، قالت: لمّا أُجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا.

قالت: ثمّ إنّ رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه. يعنيني; وكنت جاريةً وضيئةً، فأُرعدت

وفرقت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أُختي زينب.

قالت: وكانت أُختي زينب أكبر منّي وأعقل، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، فقالت: كذبتَ والله ولؤمت، ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال: كذبتِ والله! إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

قالت: كلاّ والله، ما جعل الله ذلك لك إلاّ أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار، ثمّ قال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! إنّما خرج من الدين أبوكِ وأخوك.

فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوكَ وجدّك.

قال: كذبت يا عدوّة الله.

قالت: أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك.

قالت: فوالله لكأنّه استحيا، فسكت»[٢٩٧].

* * *

---

(٢٩٦) انظر: تاريخ الإسلام ٢ / ٣٦٨ حوادث سنة ٦١ هـ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٩ ـ ٣٢٠، تاريخ دمشق ٧٠ / ١٤ ـ ١٥ رقم ٩٤٠٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٠ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤ رقم ١٣٧.

(٢٩٧) تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٩، وانظر: الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩، البداية والنهاية ٨ / ١٥٥ ـ ١٥٦، الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٩.

الفصل الثالث

من الوقائع في الشام

التحوّل في الشام، وظهور سرّ أخذ الإمامِ الأهلَ والعيال

وبدأ التحوّل بالشام على أثر خطب الإمام السجّاد عليه السلام وكلماته في المناسبات المختلفة، وكذا عقيلة أهل البيت عليهم السلام... وتيقّظ الناس وتنبّهوا، وحتّى جند يزيد ومن حوله... وبذلك تبيّن جانب من السرّ في أخذ الإمام عليه السلام الأهل والعيال معه إلى العراق.

كرامةٌ من الرأس الشريف

أمّا الرأس الشريف، الذي صلب بمدينة دمشق ثلاثة أيّام[٢٩٨]، فقد روى ابن عساكر بإسناده عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، قال: «أنا ـ والله ـ رأيت رأس الحسين بن عليّ حين حمل وأنا بدمشق، وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف، حتّى بلغ إلى قوله: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**)[٢٩٩] قال: فأنطق الله الرأس بلسان ذَرِب[٣٠٠] فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي»[٣٠١].

خطبة الإمام السجّاد عليه السلام

وروى ابن أعثم الكوفي وغيره، أنّ يزيد أمر الخطيب أنْ يرقى المنبر ويثني على معاوية ويزيد وينال من أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام.

فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأكثر الوقيعة في عليّ والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد.

فصاح به عليُّ بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدك من النار.

ثمّ قال عليُّ بن الحسين: يا يزيد! ائذن لي أنْ أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء وأجر وثواب.

قال: فأبى يزيد ذلك; فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد المنبر، لعلّنا نسمع منه شيئاً.

فقال: إنّه إنْ صعد المنبر لم ينزل إلاّ بفضيحتي أو بفضيحة آل أبي سفيان.

قيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا؟!

قال: إنّه من نسل قوم قد رُزقوا العلم رزقاً حسناً.

قال: فلم يزالوا به حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبةً أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب... حتّى ضجّ الناس

بالبكاء والنحيب.

---

(٢٩٨) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٩ رقم ٤٨، البداية والنهاية ٨ / ١٦٣.

(٢٩٩) سورة الكهف ١٨: ٩.

(٣٠٠) الذَّرِبُ: الحادُّ من كلّ شيء، ولسان ذَرِبٌ: أي حديدُ الطَّرَف، وذَرَبُ اللسان: حِدَّتُه; انظر مادّة «ذرب» في: لسان العرب ٥ / ٣٠، تاج العروس ١ / ٤٩٥.

(٣٠١) تاريخ دمشق ٦٠ / ٣٧٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٥ / ٢٧٤.

قال: وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذّن فقال: اقطع عنّا هذا الكلام.

قال: فلمّا سمع المؤذّن قال: اللّه أكبر; قال الغلام: لا شيء أكبر من اللّه.

فلمّا قال: أشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه; قال الغلام: يشهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي.

فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، التفت عليٌّ ابن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّدٌ هذا جدّي أم جدّك؟! فإنْ زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلم قتلت عترته؟!

قال: فلمّا فرغ المؤذّن من الأذان والإقامة تقدّم يزيد يصلّي بالناس صلاة الظهر، فلمّا فرغ من صلاته أمر بعليّ بن الحسين وأخواته وعمّاته رضوان اللّه عليهم، ففرّغ لهم داراً فنزلوها، وأقاموا أيّاماً يبكون وينوحون على الحسين رضي اللّه عنه»[٣٠٢].

إقامة المناحة ثلاثة أيّام في دمشق

قال البلاذري، وابن سعد، والطبري، وغيرهم[٣٠٣]:

إنّ يزيد أمر بالنساء فأُدخلن على نسائه في داره التي يسكنها، فاستقبلتهنّ نساء آل أبي سفيان يبكين وينحن على الحسين، فما بقيت منهنّ امرأة إلاّ تلقّتهنّ تبكي وتنتحب، ثمّ أقمن المناحة على الإمام ومن استشهد معه ثلاثة أيّام...

وقال البلاذري: إنّ عاتكة ابنة يزيد ـ وهي أُمّ يزيد بن عبدالملك ـ أخذت رأس الإمام الحسين عليه السلام فغسلته ودهّنته وطيّبته[٣٠٤]...

خبر نزول آية المودّة في أهل البيت

وروى جماعة من المفسّرين: إنّه لمّا جيء بالإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أسيراً، فأُقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد للّه الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرنَي الفتنة.

فقال له الإمام عليه السلام: أقرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال: أقرأتَ أل حم؟

قال: قرأتُ القرآن ولم أقرأ أل حم.

قال: ما قرأت (**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)[٣٠٥]؟!

---

(٣٠٢) الفتوح ٥ / ١٥٤ ـ ١٥٥، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٧٦ ـ ٧٨.

(٣٠٣) أنساب الأشراف ٣ / ٤١٧، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٦ / ٤٤٨، تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٩، الإمامة والسياسة ٢ / ١٣، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥ / ١٥٥، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٩، البداية والنهاية ٨ / ١٥٦.

(٣٠٤) انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٤١٦.

(٣٠٥) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

قال: إنّكم لأنتم هم؟!

قال: نعم[٣٠٦].

كلام الإمام السجّاد عليه السلام مع المنهال

قال ابن أعثم: «وخرج عليٌّ بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو الصابئ فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول اللّٰه؟

قال: أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

يا منهال! أمست العرب تفتخر على العجم لأنّ محمّداً منهم، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل

بيت محمّد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتّلون مثبورون مطرودون; فإنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال»[٣٠٧].

موقف الصحابي أبي برزة

هذا، وقد قرأتُ بترجمة الصحابي أبي برزة الأسلمي:

«دخلوا على يزيد، فوضعوا الرأس بين يديه... ثمّ أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومعه قضيب، فنكت به في ثغره، ثمّ قال: إنّ هذا وأنا كما قال الحصين بن الحُمام المرّي:

نفلّق هاماً من رجال أحبّة *** إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال رجل من أصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم يقال له: أبو برزة الأسلمي: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟! أمَا لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً كريماً، رأيت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم يرشفه.

أمَا إنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمّد صلّى اللّٰه عليه وسلّم شفيعه.

ثمّ قام فولّى»[٣٠٨].

موقف التابعي خالد بن غفران

وفي ترجمة خالد بن غفران، قال ابن عساكر: «من أفاضل التابعين، كان بدمشق... إنّ رأس الحسين بن عليّ لمّا صُلب بالشام أخفى خالد بن غفران شخصه عن أصحابه، فطلبوه شهراً حتّى وجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال: أمَا ترون ما نزل بنا؟! ثمّ أنشأ يقول:

---

(٣٠٦) انظر: تفسير الطبري ١١ / ١١٤ ح ٣٠٦٧٧، البحر المحيط ٧ / ٥١٦، الدرّ المنثور ٧ / ٣٤٨، روح المعاني ٢٥ / ٢٩.

(٣٠٧) الفتوح ٥ / ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٣٠٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ١٥١ رقم ١١١.

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمّد *** متزمّلا بدمائه تزميلا

وكأنّما بك يا ابن بنت محمّد *** قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا *** في قتلك التنزيل والتأويلا

ويكبّرون بأنْ قُتلت وإنّما *** قتلوا بك التكبير والتهليلا»[٣٠٩]

ندم يزيد!!

ثمّ إنّ الناس بدأوا يعرفون الحقيقة..

من خطب الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام.. وكلماته..

من بيانه عليه السلام المراد من آية المودّة في القربى..

من كلمات العقيلة زينب الكبرى عليها السلام في مجلس يزيد، وفي مجالسها مع النساء...

من إقامة المناحة على الإمام وأهل بيته وأصحابه ثلاثة أيّام في

الشام.. في داخل قصر يزيد...

عرفوا مظلوميّة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام..

كلّ هذا من جهة..

ومن جهة أُخرى..

من أقوال يزيد..

ومن أفعاله..

ومن الأشعار التي أنشأها أو تمثّل بها..

عرفوا أنّ يزيد هو نفسه يزيد الفجور والخمور والكفر والفسوق..

عرفوا أنّه على الباطل، وأنّ الحقّ مع الإمام الحسين الذي أبى أن يبايعه.. حتّى قتل مظلوماً شهيداً..

وحينئذ.. أبدى يزيد الندم.. لأنّه:

عرف أنّه قد افتُضح، وفضح أباه وقومه..

عرف أنّ الناس أبغضوه ومقتوه وعادوه..

عرف أنّ ملكه سيزول..

قال الطبري: «وحدّثني أبو عبيدة معمر بن المثنّى، أنّ يونس بن حبيب الجرمي حدّثه، قال: لمّا قَتل عبيدُ اللّه بن زياد الحسينَ بن عليّ عليه السلام وبني أبيه، بعث برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسُرَّ بقتلهم أوّلا، وحسنت بذلك منزلة عبيدِ اللّه عنده، ثمّ لم يلبث إلاّ قليلا حتّى ندم

على قتل الحسين، فكان يقول:

---

(٣٠٩) تاريخ دمشق ١٦ / ١٨٠ ـ ١٨١ ح ١٩٠٩، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٣٩٢ رقم ٣٤١.

وما كان علَيَّ لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري، وحكّمته في ما يريد، وإن كان علَيَّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظاً لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ورعاية لحقّه وقرابته، لعن اللّه ابن مرجانة، فإنّه أخرجه واضطرّه، وقد كان سأله أن يخلّي سبيله ويرجع، فلم يفعل، أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتّى يتوفّاه اللّه عزّ وجلّ، فلم يفعل، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغضني البرُّ والفاجرُ بما استعظم الناس من قتلي حسيناً، ما لي ولابن مرجانة؟! لعنه اللّه وغضب عليه»[٣١٠].

ونقله الذهبي عن الطبري، ولم يتعقّبه بشيء[٣١١].

وكذا ابن الأثير، قال: «وقيل: لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلاّ يسيراً حتّى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما علَيَّ لو احتملت الأذى...»[٣١٢].

وقال السيوطي: «ولمّا قُتل الحسين وبنو أبيه، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسُرَّ بقتلهم أوّلا، ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحقَّ لهم أن يبغضوه»[٣١٣].

أقول:

وهكذا ينكشف السرّ في حمل الإمام عليه السلام عيالاته وأطفاله معه إلى كربلاء، مع علمه بأنّه سيقتل...

إقرار العلماء بأمر يزيد وقولهم بكفره

وممّا تقدّم، تبيّن أنّ جمهور المحدّثين والمؤرّخين والعلماء من أهل السُنّة يروون ويقرّون بأنّ يزيد هو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام، وأنّهم يقولون بكفره... وإلى المزيد في ما سيأتي.

* * *

(٣١٠) تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٥ حوادث سنة ٦٤ هـ .

(٣١١) تاريخ الإسلام ٢/ ٣٦٩ حوادث سنة ٦١ هـ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٧.

(٣١٢) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٩.

(٣١٣) تاريخ الخلفاء: ٢٤٨.